قصة «حي بن يقظان» في تراثنا القديم
دراسة وتحقيق

الدكتور محمد فائز سنكري طرابيشي
كلية الآداب جامعة حلب

تعد قصة «حي بن يقظان» أول قصة فلسفية رمزية في تراثنا العربي، ويعد ابن سينا المبدع لهذه القصة التي تستوحي الحكمة الإشراقية وتفسرها في آن واحد. تلك الحكمة التي تبناها ابن سينا نهجاً في سلوكه وتفسيره للوجود على أساس نظرية الفيض والإشراق، معتمداً الذوق حسب ما ذهب إليه أفلاطون والأفلاطونية المحدثة. وهذا مناقض لما عرف عن الشيخ الرئيس من اتباع للمشائين الذين يتبعون أرسطو، ويعملون العقل في تفسير الوجود.

ونظراً لاهمية هذه القصة راح بعض تلامذة ابن سينا يشرحونها، ومن هؤلاء أبو عبيد الجوزجاني وابن زيلة، على أن شرح ابن زيلة هو الشرح الوحيد الذي وصل إلينا، وقد ظن بعض الدارسين أن ابن سينا قد شرح قصته بنفسه، وليس ذلك بصحيح، كما سنتبين في أثناء البحث.

وقد حظيت الحكمة الإشراقية عموماً، وقصة «حي بن يقظان» خصوصاً، باهتمام الفلاسفة والمتصوفين فهبوا يحاكمونها، ويقبسون من أسرارها، ومن أشهر هؤلاء ابن طفيل والسهروردي، بل نالت القصة نفسها إعجاب بعض الشعراء، فعمد إلى نظمها شعراً، لعله يزيل شيئاً من غموضها. وأعني بذلك الشاعر ابن الهبارية الذي نظمها شعراً. ومن الغريب أن كل من تعرض لقصة ابن سينا، محققاً أو دارساً، لم يشر إلى هذا النظم على الرغم من أهميته، لأن ابن الهبارية من شعراء القرن الخامس الهجري، وهو قريب العهد من ابن سينا، ثم إن له باعاً في نظم المتون، فضلاً عن ثقافته الواسعة المتشعبة. ولهذا النظم نسخة مخطوطة في استانبول، وقد صورها معهد المخطوطات في

القاهرة منذ حين.

لذلك رأيت أن أقيم هـذه الدراسة لقصـة «حي بن يقظان» مبيناً موقعهـا في الفلسفة الإسلاميـة، وموضحـاً نسبة مـا وصل إلينا من شروحهـا، ثم حاولت أن أفيـد من نظم الشـاعر المذكـور، الـذي اتبعته محققـاً، في إلقـاء مزيـد من الضـوء على رموز القصـة ومراميها.

مخطط البحث

أولاً: الدراسة

١ ـ حي بن يقظان ـ لابن سينا.

١ ـ الفلسفة المشرقية، أو الحكمة الإشراقية

٢ ـ مضمون قصة حي بن يقظان وشروحها

٣ ـ تقليد «حي بن يقظان»:

أ ـ «حي بن يقظان» لابن طفيل

ب ـ «الغربة الغربية» للسهروردي المقتول

٢ ـ نظم ابن الهبارية لحي بن يقظان:

١ ـ مسألة النظم

٢ ـ دوافع النظم

٣ ـ استيفاء النظم لأغراض الرسالة وقدرة الناظم

٤ ـ أسلوب الشاعر

ثانياً: التحقيق

١ ـ النسخة المخطوطة

٢ ـ النص: نظم ابن الهبارية لحي بن يقظان (لابن سينا).

- حي بن يقظان، قوى التخيّل، القوى الغضبية، القوى الشهوانية، العالم العقلي، مداواة القوى الغضبية والشهوانية بالمنطق، سلطة المنطق على قوى التخيّل، طلب العالم العقلي وتعويق البدن، تقسيم الموجودات وتركيبها من صورة وهيولى، تبديد الشكوك وصواب حكم المنطق، الهيولى والصورة، العوالم الأربعة، العالم العلوي وأقاليمه، ترتيب العقول، الأفلاك والأجرام السماوية، الأسطقسات الأربع، اتصال العوالم، قوى الإنسان وحواسه، تضليل قوة التخيل، القوى المدركة والمحركة، النفوس الناطقة، قوة العمل وقوة العلم، النفوس الفلكية، الملأ الأعلى.

أولاً: الدراسة

١ - حي بن يقظان - لابن سينا[١]

عُرف ابن سينا بفلسفته المشائية، التي تعتمد العقل، في تفسير الوجود، حسب ما ذهب إليه أرسطو، كما في كتاب الشفاء، غير أنه في بعض تصانيفه ورسائله تأثر بالفلسفة الإشراقية، التي تعتمد الذوق في تفسير الوجود، حسب ما ذهب إليه أفلاطون والأفلاطونية المحدثة، كما في القسمين الثالث والرابع من «الإشارات والتنبيهات»[٢] وفي قصة «حي بن يقظان» وغير ذلك. على أن اتّباع ابن سينا الفلسفة المشائية كان مجاراة لجمهور المشتغلين بالعلم، على غير اقتناع بها، ولذلك صرّح في مقدمة «منطق المشرقيين»[٣] بأنه من أتباع الفلسفة الإشراقية التي يضنّ بها على غير أصحابها: «وما

---

(١) الحسين بن عبد الله بن سينا أبو علي شرف الملك (٣٧٠ ــ ٤٢٨هـ): الفيلسوف الرئيس صاحب التصاريف في الطب والطبيعيات والإلهيات. أصله من بلخ، ومولده في إحدى قرى بخارى. نشا وتعلّم في بخارى، وطاف البلاد، وناظر العلماء، واتسعت شهرته، ومات في همذان. «وفيات الأعيان» ١ : ٤١٩ ـ ٤٢٤ و«تاريخ حكماء الإسلام» ص ٢٧ــ ٧٢. والغريب أن «المعصومي» سها في ذكر وفاة ابن سينا في التمهيد الذي استهل به مقالته «رسالة حي بن يقظان مع شرحها لابن سينا» في مجلة المجمع العلمي العربي ٢٩:٦ ٤٠ وكذا في الكتيب المستقل الذي طبع في المجمع أيضاً. فقد جعل وفاة ابن سينا سنة ٣٧٠هـ

(٢) في الإلهيات والتصوف، مع شرح نصير الدين الطوسي

(٣) ص ٤.

جمعنا هـذا الكتاب لنظهره إلا لأنفسنا ـــ أعني الذين يقومـون منا مقام أنفسنا ـــ وأما العـامـة من مـزاولي هـذا الشأن فقـد أعطينـاهم في الشفـاء مـا هـو كثير لهم وفـوق حاجتهم...».

١ ـ الفلسفة المشرقية[١]، أو الحكمة الإشراقية:

وهي الأصل الذي بنى عليه ابن سينا قصتـه الفلسفية «حي بن يقظان». يقول قطب الدين الشيرازي[٢]: «إنها الحكمـة المؤسسـة على الإشراق الذي هـو الكشف أو حكمـة المشارقة الذين هم أهل فارس، وهـو أيضاً يرجع إلى الأول، لأن حكمتهم كشفية ذوقية، فنسبت إلى الإشراق الذي هو ظهـور الأنوار العقلية ولمعانها وفيضـانها بالإشراقات على النفوس عنـد تجردها، وكـان اعتماد الفارسيين في الحكمـة على الذوق والكشـف، وكذا قدماء يونان خلا أرسطو وشيعته، فإن اعتمادهم كان على البحث والبرهان لا غير».

وهذا النص المهم يشير إلى أنّ الإشراق مصدر الحكمة المشرقيـة وأنّ هناك ترادفاً بين كلمتي (إشراقي) و(مشرقي)، فيمكن فهم الإشراق على أنـه حكمةالمشرقيين أي الشرقيين الـذين يقعون جغـرافيـاً في الشرق، أي في بلاد فـارس. وأنّ بين فلسفة هـؤلاء الشرقيين وبين فلسفة أفلاطون والأفلاطونية المحدثة تأثراً وتقارباً.

على أن الحذر واجب عند إطلاق مثل هـذه الأحكام، فثمة فرق جـوهري بين فلسفات الفـرس القديمـة وبين الإشراقية. ففكـرة النـور والظلام عنـد الزرادشتيين والمانـويين والمزادكة تخالف أساساً فكرةالنور الوحيـدة عند الإشراقيين. فلا وجود للظلام عندهم. إنّه انعدام النور أو تلاشيه. ولذلك لا يمكـن أن يُعدّ الظلام مبدأ وجودياً عند الإشراقيين كما في المذاهب الفارسية القديمة.

ويتضح أثر ابن سينـا في فلسفة الإشراق إذا مـا عرفنا أنّ المصـدر الذي أخـذت عنه الإشراقية هو المذهب نفسه الذي تأثّر به ابن سينـا، وهو الأفلاطونية المحدثة التي تقوم

(١) كان العرب يستعملون كلمة «فلسفة» إلى جانب كلمـة «حكمة» وهي في العادة مرادفة للحكمة. والمشاؤون يؤثـرون كلمة «فلسفة». أما الإشراقيون فيفضلـون استعمال كلمة «حكمة» وبين المستشرقين خلاف في لفظ «المشرقية» فمنهم من رأى ضمّ الميم ومنهم من رأى فتحها، والرأي الثاني أقرب إلى الصـواب. انظر «دائرة المعارف الإسلامية» ٨ : ١٤ ـــ ١٥ و«التراث اليوناني» ٢٤٩ ـ ٢٩١.

(٢) «حكمة الإشراق» للسهروردي، المقدمة لقطب الدين الشيرازي.

على أساس نظرية الفيض والعقول العشرة. ويمكن القول[1] إن ما جاء في إشارات ابن سينا[2]، وفي قصتي «حي بن يقظان» و«سلامان وأبسال»[3]، وفي «رسالة الطير»[4] لابن سينا، كافٍ لإقامة فلسفة إشراقية، وبهذا يكون قد سبق «السهروردي» (ـ ٥٨٧هـ) في هذا الاتجاه. ويبقى الاختلاف بينهما في مقدار تعمّق الأخير في الناحية الإشراقية، لا في نوع فلسفة كل منهما.

---

(١) أصول الفلسفة الإشراقية ص١١٦ ـ ١١٧.

(٢) أشار ابن سينا إلى سلامان وأبسال في كتاب الإشارات والتنبيهات (ص٧٩٠ ـ ٧٩٣) بقوله: «وإذا قرع سمعك فيما يقرعه، وسرد عليك فيما تسمعه قصة لسلامان وأبسال فاعلم أن سلامان مثل ضرب لك، وأن أبسالاً مثل ضرب لدرجتك في العرفان إن كنت من أهله، ثم حل الرمز إن أطلقت. «وقد علق الطوسي على هذه الإشارة بأن سلامان وأبسالاً لفظتان وضعهما الشيخ لبعض الأمور وهما أقرب إلى الأحاجي، وليس ذكرهما إشارة إلى قصة مشهورة، بل هما كلمتان تجريان في أمثال العرب وحكاياتهم.

(٣) يذكر الطوسي أنه بعد شرح الإشارات بعشرين سنة وقعت إليه قصة «وهي منسوبة إلى الشيخ وكأنها هي التي أشار الشيخ إليها، فإن أبا عبيدة الجوزجاني (وقد تصحف الاسم في تحقيق د. سليمان دنيا للإشارات إذ جعله أبا عبيدة الجرجاني، وذلك خطأ) أورد في فهرست تصانيف الشيخ قصة سلامان وأبسال له «وقد أورد مضمون تلك القصة دون ذكرها حرفياً طلباً للاختصار. ومفاد القصة أن سلامان وأبسالاً كانا أخوين شقيقين، وأبسال أصغرهما، وقد عشقته امرأة سلامان وطلبت إلى زوجها أن يخلطه بأولاده لأنه عاقل متأدب عالم عفيف شجاع، ثم إنها عشقته، فانقبض أبسال فسعت في تزويجه من أختها، وليلة الزفاف باتت في فراش أختها، فاستاء أبسال وعزم على مفارقتها، وأبدى لأخيه أنه يريد فتح البلاد والاستيلاء على الأرض، ولما رجع إلى وطنه عادت زوجة سلامان إلى سابق عهدها، فلما رفض تآمرت مع رؤساء الجيش للإيقاع به، فظفر به الأعداء وتركوه جريحاً، وظن القواد أنه مات. ثم إن مرضعة من الوحش عطفت عليه إلى أن شفي وعاد إلى أخيه سلامان، فتآمرت زوجه ثانية في دس السم له فمات، واغتمّ سلامان لذلك وترك الملك بعد أن انتقم ممن وضع السم لأخيه.

ثم ذكر الطوسي تأويل القصة، فقال إنّ سلامان مثل للنفس الناطقة، وأبسالاً مثل للعقل النظري المترقي إلى الكمال. وامرأة سلامان مثل للقوة البدنية، وأختها هي القوة العملية.. الإشارات والتنبيهات ص٧٩٦ ـ ٧٩٨ وتسع رسائل ص١٧٣ ـ ١٧٧.

وتجدر الإشارة إلى أن ابن سينا أشار إلى قصة سلامان وأبسال في رسالة القدر، وذكر فيها حديث لمعان البرق من الغيم المظلم الذي أظهر لأبسال وجه امرأة سلامان حتى أعرض عنها، وهذا يؤكد نسبة القصة المذكورة إلى ابن سينا، انظر رسائل الشيخ الرئيس ٤ : ٥.

(٤) حاول ابن سينا في «رسالة الطير» أن يبين حال الإنسان قبل تجرده من عالم الهيولى، ثم حصوله على رؤية الحقيقة التي هي الله سبحانه وتعالى. وقد أبرز ذلك في صورة تخيلية، وهي رمز الطير يقع في شباك العدو، ولا يزال يحاول النجاة إلى أن يحظى بالخلاص بجده وثباته. انظر رسائل الشيخ الرئيس ٢ : ٤٢ و«مجلة المشرق» السنة الرابعة ص٨٨٢ ـ ٨٨٧.

٢ ـ مضمون «قصة حيّ بن يقظان» وشروحها:

كتب ابن سينا قصة حي بن يقظان في قلعة فردجان قرب همذان، وقد حبسه تاج الملك، حاكم همذان، وكان اتهم الشيخ بمكاتبته علاء الدولة (أبي جعفر بن كاكويه) حاكم أصفهان سراً[١].

وخلاصة قصة «حي بن يقظان» أنّ إنساناً خرج برفقةٍ إلى بعض المتنزهات فعنَ لهم شيخ بهيّ فدَنوا منه مستفسرين عن حسبه ونسبه وبلده وحرفته. فأجابهم: إني حي ابن يقظان، وبلدي مدينة بيت المقدس، وحرفتي السياحة في أقطار العوالم. ودار حوار بين الإنسان ورفقائه وبين الشيخ حول كيفية السياحة ووسائلها، فأشار الشيخ إلى الإنسان، أن تخلّص من رفقائك أولاً، واتّبع المنطق ثانياً تصل إلى ما وصلتُ إليه. ثم شرع الإنسان يسائله عن الأقاليم التي أحاط بها علمه، فكرّ الشيخ يشرح حدود الأرض ويتحدّث عن الأنواع المعدنية والنباتية والحيوانية والإنسانية. وعن الأجرام والأفلاك السماوية. ومن ثمّ عاد إلى الحديث عن قوى الإنسان وحواسه، وكيف يمكن الارتقاء به إلى مرتبة الملائكة. وفي ختام القصة يأسف الشيخ لاشتغاله بمخاطبة الإنسان، فقد ابتعد عن العالم السماوي في هذا الخطاب، غير أنّه وجد العزاء في إمكانية إقناع الإنسان بسلوك مسلك العقل.

«وقد حازت هذه القصة مع قصرها أهمية كبرى في تاريخ الفلسفة في الإسلام، فإنها أول قصة أنشئت في الإسلام لإيضاح المطالب الفلسفية. وقد أثبت الشيخ فيها، كما أثبت في رسالة الطير أن الأرواح الإنسانية لها علاقة خاصة مع العقل الفعال، ثم بوساطته مع الحضرة الألوهية. والعقل الفعال هو الروح القدس في فلسفة الفارابي وابن سينا وابن باجه وغيرهم من سائر الفلاسفة المسلمين»[٢].

وذكر المعصومي[٣] أن ابن سينا يرى أن العقل الإنساني له أن يصل إلى حضرة الحق، فالعقل موهبة من الله تعالى قد أفيضت على الأرواح الإنسانية.

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص٤٤١.

(٢) «المعصومي» رسالة حي بن يقظان ٢٩ : ٤١٠.

(٣) المصدر السابق.

والحق أنّ القصة موغلة في الرمز، فالرفقة: حواس الإنسان وسائر قواه البدنية، والشيخ البهيّ: هو العقل الفعّال، والسياحة: سلوك الإنسان مسلك العقل الفعّال بعد تخلصه من عوائق البدن... ونظراً لغموضها فقد كان حرياً شرحها لتقريبها إلى الأفهام، وقد شرحها تلميذ ابن سينا أبو عبيد الجوزجاني، ولم يصل إلينا شرحه. وشرحها أيضاً تلميذ آخر للشيخ الرئيس هو أبو منصور الحسين بن محمد بن زيلة[1]، ولهذا الشرح نسخ مخطوطة عدّة. من هذه النسخ:

١ ـ نسخة محفوظة في إستانبول بمكتبة «طوبقبو سراي» تحت رقم (٣٢٦٨/ ٥)، في مجموع بعد نظم ابن الهبارية لرسالة حي بن يقظان مباشرة. وتعود هذه النسخة إلى سنة (٥٨٠هـ)، ولعل هذه أقدم نسخة وصلت إلينا من شرح ابن زيلة، وعنوانها «شرح الشيخ أبي منصور لحي بن يقظان».

٢ ـ الشرح المختار الذي نشره «مهرن» مع رسالة حي بن يقظان سنة ١٨٨٩م، دون أن يعزوه إلى ابن زيلة[2]. ويرى المعصومي[3] أن «مهرن» لم ينسب الشرح إلى ابن زيلة لأنه وجده منسوباً إلى ابن سينا في نسخة «بودليانا»، فرأى الاحتياط في عدم نسبة الشرح إلى ابن زيلة.

٣ ـ الشرح المختار الذي نشره محيي الدين صبري مع رسالة حي بن يقظان في مجموعة «جامع البدائع» سنة ١٩١٧م، دون أن يعزوه إلى ابن زيلة أيضاً.

٤ ـ ويذكر المعصومي[4] أنه ظفر بشرح آخر لحي بن يقظان، وهو شرح مختصر منسوب إلى ابن زيلة، عنوانه «مختصر في تفسير معاني رسالة حي بن يقظان، من تعليق ابن زيلة صاحب شرح الشفاء». ويرى المعصومي[5] أن هذا الشرح

---

(١) كشف الظنون ١ : ٨٦٢.

(٢) الحسين بن محمد ـ أو ابن طاهر ـ ابن زيلة، ابو منصور، حكيم عالم بالرياضيات، ماهر في الموسيقى، عارف بالأدب، حسن الإنشاء، أصفهاني الأصل والمولد، كان من خواص تلاميذ ابن سينا. من كتبه: «النفس» و«شرح رسالة حي بن يقظان» و«الاختصار من طبيعيات الشفاء ـ لابن سينا» و«الكافي في الموسيقى» توفي سنة ٤٤٠هـ قبل الكهولة (الأعلام ٢/ ٢٥٤).

(٣) شرح رسالة حي بن يقظان ٢٩ : ٤٠٩

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

ومـا نشره محيي الـدين صبري «ومهـرن» ملتقط من شرح طـويل، وأن الشرح الطويل هو شرح ابن سينا نفسه لرسالة حي بن يقظان.

٥ ـ وقـد وقف المعصومي في مكتبة «بـودليانـا» على شرح لرسالـة ابن سينا ضمن مجموع تحت رقم (٥٣٤، هنت)[١]، وقد رجح كتـابة ذلك الشرح سنـة ٦٣٤هـ. والغريب أن المعصومي قد نسب شرح رسالـة ابن سينا إلى المؤلف نفسه، وبذلك يحل المشكلة في اختصار ابن زيلة لشرح رسالة حي بن يقظان المذكور آنفاً.

وقد عمد المعصومي في استنتاجه لأدلة ثلاثة:

أ ـ ما جاء في أول النسـخة الخطية، وهـو: «قال الشيخ الرئيس الأوحد الفيلسوف أبو علي الحسين بن عبد اللـه بن سينا، قدس الله لطيفـه ولقاه إحسانه، ومـا وليه في قـولـه: «وبعد فإن إصراركم معشر إخـواني على اقتضـائي شرح قصـة حي بن يقظان هـزم لجاجي في الامتناع، وحل عقـد عزمي في المماطلة والـدفاع، فـانقدت لمساعـدتكم وبالله التوفيق». وقـد رأى المعصومي أن هذا الخطاب جـاء على بعد عن نص القصة التي تبتدىء بقوله: «إنـه قد تيسرت لي حين مقامي ببلادي برزة برفقائي إلى بعض المتنزهات المكتنفة لتلك البقعة».

ب ـ إن عبـارات المتن (القصة) كتبها النـاسخ في سطور قصيرة بالنسبـة إلى عبارة الخطـاب المذكورة آنفـاً «وبعـد فإن إصراركم...» مع أن المتن في كل من نسختي المتحف البريطاني وخزانة «ليدن» يبتدىء بها.

ج ـ مـا جاء في أول المجمـوع المحفوظ في «بـودليانـا» في ثَبَت المحتويـات وهو بخط حسن قديم يختلف عن خط الـرسائل، وهو الآتي[٢]: «رسالة حي بن يقظان مع شرحها له[٢] أيضاً، ويلي ذلك في الورقة الثـانية بخط التعليق الأول نفسه: «وفيه رسـالـة حي بن يقظـان مع شرحهـا كـلاهما لابن سينـا». وبهذه الأدلـة يـرى

---

(١) شرح رسالة حي بن يقظان ٢٩ : ٤٠٦.

(٢) «المعصومي» رسالة حي بن يقظان ٢٩ : ٤١٠.

(٣) أضاف المعصومي بن قوسين (لابن سينا).

المعصومي أن «لا مجال للشك في أن الشرح السابق ذكره للشيخ الرئيس نفسه»[1].

بيد أن أدلة المعصومي هذه غير مقنعة تماماً. أما دليله (أ) ففيه نظر لأن ابن سينا في نص القصة يورد العبارات نفسها، ولا سيما قوله: «وبعد فإن إصراركم معشر إخواني على اقتضاء شرح قصة حي بن يقظان هزم لجاجي...»[2] فالمراد من الشرح هنا سرد القصة وذكر تفاصيلها، لا شرح نص القصة وتفسيره. وما جاء في مستهل الشرح ونصه: «قال الشيخ الرئيس الأوحد الفيلسوف أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا... «نجد ما يقاربه في شرح ابن زيلة، وهو أمر طبيعي لدى الشرّاح في توثيق المتن المشروح. والفصل بين بداية القصة وبين الخطاب السابق على لسان ابن سينا ليس بدليل أيضاً.

وأما دليله (ب) من حيث الفصل بين المتن والشرح فلا يكفي لنسبة الشرح إلى الشيخ الرئيس.

وأما دليله (ج) وهو العنوان في ثَبَت محتويات المجموع: «رسالة حي بن يقظان مع شرحها له أيضاً فلا برهان له، وفضلاً عن ذلك لا توجب العبارة أن يكون المتن والشرح لابن سينا.

وقد أشار المعصومي[3] نفسه إلى خلو قائمة الكتب المنسوبة إلى ابن سينا من شرحه لرسالة حي بن يقظان.

وبعد ذلك كله رأيت أن أقرن الشرح الذي عثر عليه المعصومي (مخطوط بودليانا) بأقدم شرح لرسالة حي بن يقظان، وهو شرح الشيخ أبي منصور الحسين بن محمد ابن زيلة المذكور آنفاً (مخطوط إستانبول)، ووصلت إلى أن الشرحين ينتميان إلى أصل واحد أي شارح واحد، وتكاد الصفحات الأولى من المخطوطين تتطابق كلمة كلمة، اللهم إلا في المستهل حيث ذكرت نسخة (بودليانا) من ألقاب الشيخ الرئيس أكثر مما ذكرته نسخة إستانبول. ثم وقع خرم في نسخة (إستانبول) مقداره أقل من سطرين وهو من

---

(١) «المعصومي» رسالة حي بن يقظان ٢٩ : ٤١٠.

(٢) «أحمد أمين» حي بن يقظان ص٤٣.

(٣) رسالة حي بن يقظان ٢٩ : ٤٠٨.

قـول الشارح في تفسير (حين مقـامي ببـلادي بـرزة برفقـائي)، ثم وقع اضطـراب في الترتيب بين النسختين في تفسير قول ابن سينا (فنـزعت إلى مخالطته، وانبعث من ذات نفسي متقاض لي... وافتر عن لهجة مقبولة).

ولم يتيسر لي مقابلة مخطـوط إستانبول كامـلاً بالمخطوط الذي حققـه المعصومي، لكن الصفحتين الأوليين من كليهما تبينان أنهما لابن زيلـة. وإن وجد بعض الخلاف أو الزيادة فـإنه خلاف بين نسختين مختلفتين لشارح واحـد. وهذا يفضي بنا إلى أن الشرح الذي نشره المعصـومي معزواً إلى ابن سينا، إنما هـو لابن زيلة تلميذه الـذي يعد الشرح الوحيد الذي وصل إلينا من شروح تلامذة ابن سينا[1].

٣ ـ تقليد «حي بن يقظان»:

لقد كـان ابن سينا في قصصـه الفلسفي محط أنظار الفـلاسفة والمتصـوفين الذين راحوا يحكمون قصصاً على النحو نفسه، ومن هؤلاء الغزالي وابن طفيل والسهروردي، وسنهتم بـالـذين حاكـوا قصـة حي بن يقظـان، مقتصرين في ذلك على ما ألـف باللغـة العربية من تلك القصص[2]:

أ ـ حي بن يقظان لابن طفيل (ـ ٥٨١هـ): ألف ابن طفيل قصـة فلسفية عنـوانها «حي ابن يقظـان» أيضاً، وقـد تأثر فيهـا كما صرّح نفسه، بحي بن يقظـان لابن

(١) من المتصوفين الذين اعتنوا بتفسير قصة حي بن يقظـان الشيخ أبو البقاء المقدسي، وقد سمى تفسيره بجواهر البيـان وجواهر التبيان، وكـذلك الشيخ عبد الرؤوف محمد بـن تاج العارفين المناوي الشافعي (١٠٣١هـ) الذي شرحها أيضاً.

«المعصومي» رسالة حي بن يقظان ٢٩ : ٤١٣ نقلاً عن بروكلمان: Suppl. I. p. 817.

وقد ذكر المعصومي أن وفاة المناوي سنة (ـ ٩٥٢هـ) والتصويب من الأعلام ٦ : ٢٠٤.

(٢) «فقد كانت رسالة ابن سينا ذائعـة الصيت بين الفلاسفة العبرانيين أيضاً، ولها أثر واضح على أدب اللغـة العبريـة، كما نشـاهـد ذلك في منظـومـة «حي بن مقيظ» لابن عـزرا اليهـودي (ـ١١٨٤م).وكانوا ترجموا الرسالة مع شرحها لابن زيلة باللغة العبرية. وقد نشر البروفيسور دي كافمان هـذه الترجمة قديماً في سنـة ١٨٨٦م في «برلين». وقـد أشار المعصـومي أيضاً إلى «كتاب فاضل بن نـاطق» الذي يعارض رسالة حي بن يقظان، ويبـدو أن الرمز والهدف في هذا الكتاب مخالفـان لما في رسالـة ابن سينا، إذ تصـدى ابن النفيس المصري (٦٨٧هـ) صـاحب الكتاب المذكـور للدفـاع عن تعاليم الإسلام ، وعلى الخصـوص عن النبوة، والقـوانين الإلهية، وعن مسـالتي الحشر وحدوث العـالم، ويوجـد مخطوط وحيد من هـذا الكتاب في مكتبـة عاشر أفندي في إستانبول. «المعصومي» رسالة حيّ بن يقظان ٢٩ : ٤١٣ ـ ٤١٤.

سينا وبقصة أخرى اسمها «قصة أبسال وسلامان» لابن سينا أيضاً فقال:[1].

«فأنا واصف لك قصة حي بن يقظان، وأبسال وسلامان اللذين سماهما الشيخ أبو علي. ففي (قِصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلأَلْبَابِ)[2]، و(ذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)[3]».

ومما جاء في قصة ابن طفيل[4]:

«سألت أيها الأخ الكريم... أن أبثّ إليك ما أمكنني بثّه من أسرار الحكم المشرقية، التي ذكرها الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا». وفي ذاك إشارة إلى قصة حي بن يقظان التي تنتمي إلى هذه الحكمة.

وخلاصة قصة «ابن طفيل» أنّ إنساناً وجد في جزيرة بلا أمّ ولا أب، وترعرع فيها إلى أن استطاع الوصول إلى المعرفة بوساطة عقله فحسب. ثم اتفقت له صحبة «أبسال» الذي أخذ علمه ومعارفه من الشرائع الدينية برفقة «سلامان» ثم تركه متوجهاً إلى حيث حي بن يقظان. وحاول أبسال معرفة أخبار «حي» فسرد له قصته وكيف ترقى بالمعرفة حتى انتهى إلى درجة الوصول إلى الحقيقة. وراح حيّ يسائله عن شأنه، فجعل أبسال يصف له جزيرته وحاله فيها. ففهم «حي» ذلك كله ولم ير فيه شيئاً مخالفاً لما شاهده في مقامه الكريم.

ثم اتفق «حي» و«أبسال» على إصلاح الناس فانطلقا إلى الجزيرة حيث سلامان وقومه، وفوجيء «حي» باستحالة إصلاحهم، فانصرف إلى جزيرته مصطحباً أبسالاً ثانية ـ بعد أن اعتذر إلى سلامان فنظر إليه أبسال بعين التعظيم والتوقير، والتزم خدمته والاقتداء به والأخذ بإشاراته. وعبدا الله في تلك الجزيرة حتى أتاهما اليقين.

والحقّ أن ابن سينا وابن طفيل وصلا إلى غاية واحدة بوسيلتين مختلفتين. وقد

---

(١) «أحمد أمين» حي بن يقظان ص٦٦.

(٢) الآية ١١١ من سورة يوسف.

(٣) الآية ٣٧ من سورة ق.

(٤) أحمد أمين ص٥٧.

اعتمدت تلك الغاية الفلسفة المشرقية أصلاً لها. وكان ابن طفيل أرقى من ابن سينا من حيث اللغة والأدب[1] والفن القصصي. ثم إنّ ابن سينا اعتاد التعبير الفلسفي أكثر من ابن طفيل، واعتاد التعمّق في الرمز، بينما رموز ابن طفيل قريبة المنال.

ب ـ «الغربة الغربية»[2] للسهروردي المقتول (ـ ٥٨٧هـ): اقتفى شهاب الدين السهروردي خطا ابن سينا، ورأى أنّ عمل ابن سينا يحتاج إلى ما يكمله:

«أما بعد فإني لَمّا رأيتُ قصة حي بن يقظان فصادفتها، مع ما فيها من عجائب الكلمات الروحانية والإشارات العميقة، معتريةً من تلويحات تشير إلى الطور الأعظم الذي هو الطامة الكبرى المخزون[3] في الكتب الإلهية، المستودع في الرموز، المخفي في قصة حي بن يقظان. فهو الذي يترتب عليه مقامات الصوفية وأصحاب المكاشفات وما أشير إليه في رسالة حي بن يقظان إلا في آخر الكتابة حيث قال[4]: ولقد هاجر إليه أفراد من الناس. إلى آخر الكتاب فأردتُ أن أذكر طوراً في قصة سميتها أنا الغربة[5] الغربية لبعض إخواننا الكرام»[6].

فالسهروردي أراد التفصيل في مسألة معرفة الذات الإلهية، وقصر قصته على هذه النقطة، بينما كانت قصة ابن سينا تفسيراً كاملاً للوجود، من خلال الحكمة المشرقية التي أشرت إليها. فقصة السهروردي أقرب إلى التصوّف من قصة ابن سينا الفلسفية. وفضلاً عن ذلك فهي موغلة في الرمز على قصرها، وقد وشّحها بكثير من الآيات القرآنية التي زادت في غموض المراد منها. ويمكن القول إنها تشابه رسالتي الطير ـ لابن سينا والغزالي ـ أكثر من مشابهتها قصة حي بن يقظان، من حيث هدفها الصوفي ورموزها

(١) أحمد أمين ص٣٥.

(٢) سماها أحمد أمين «حي بن يقظان» للسهروردي، وكذلك المعصومي. وعبارة السهروردي واضحة تماماً، ولا سيما في آخر القصة: «وهذه القصة تسمى الغربة الغربية». انظر أحمد أمين ص١٣٥، ١٣٨ والمعصومي ٢٩ : ٤١٣.

(٣) في الأصل: المحزون.

(٤) وفي قصة ابن سينا «ولربما هاجر إليه أفراد من الناس...». «مهرن». حي بن يقظان ١ : ٢٢.

(٥) في الأصل: «الغريبة الغربية». والمراد غربة الإنسان في هيولاه التي محلها الغرب.

(٦) أحمد أمين ص١٣٥.

الحيوانية واقتباساتها القرآنية.

ـ نظم ابن الهبارية[1] لقصة حي بن يقظان

١ ـ مسألة النظم:

لقد سرت موجة النظم التعليمي التي شاعت في العصر العباسي حتى شملت أكثر المعارف، ومنها المعارف الفلسفية. ويُعد نظم ابن الهبارية لقصة ابن سينا «حي بن يقظان» من هذا النظم التعليمي، ويلفت النظر أنّ القدماء لم يشيروا إلى ذلك فيما وصل إلينا، على الرغم من أهمية تلك القصة الفلسفية ومكانها في الفلسفة الإشراقية.

٢ ـ دوافع النظم:

تشير مقدمة النظم إلى أنّه كان إجابة عن إلحاح تعرض له الشاعر: «سُئل الشريف.. نظمَ كلام أبي علي بن سينا في حي بن يقظان»[2]. ولكن الشاعر اعتذر في البدء «فقال: لستُ من أهل ذلك العلم ولا أعرف معانيه ولا تعاطيت فهمه قطّ. فالزم ذلك امتحاناً فأجاب بعد الامتناع»[3]. فابن الهبارية لم يكن متخصّصاً بالفلسفة كما تشير المقدمة، وليس معنى ذلك أنّه لا يعرفها البتّة.

فهو واسع الثقافة[4]. ولكن كيف نوفق بين ما صرح به ابن الهبارية في المقدمة وبين

---

(١) هو محمد بن محمد (٥٠٩هـ) الشريف أبو يعلى البغدادي، من شعراء العصر العباسي، وقد كان مشهوراً في زمانه. له ديوان ضخم مفقود، وقد جمعت أشعاره، وهي قيد الطبع في وزارة الثقافة السورية. ومن آثار الشاعر كتاب «الصادح والباغم» وهو أول شعر قصصي في أدبنا العربي، يدور جله على ألسنة الحيوانات.وكذلك له كتاب «نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة» وهو أول نظم يصل إلينا كاملاً للكتاب المذكور. وقد درست هذين الكتابين ضمن رسالة نلت بها درجة الماجستير في جامعة حلب وعنوانها: «ابن الهبارية: حياته وأدبه». وله أيضاً رسالة في الشطرنج تم تحقيقها مع دراسة بعنوان: «الشطرنج والنرد في أدبنا العربي القديم»، وقد نشرت منذ وقت قريب في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (المجلد ٦٥، الجزء الثاني، ص ٢٨٠ ـ ٣٣٣). ومن آثار الشاعر المخطوطة كتاب «فلك المعاني» في الأدب، وأقوم بتحقيقه الآن وأخيراً للشاعر نظم رسالة حي بن يقظان الذي نحن بصدده.

(٢) انظر مقدمة النظم.

(٣) انظر المصدر السابق.

(٤) شملت ثقافة الشاعر المعارف الفلسفية التي نجد بعض مظاهرها في كتابه «الصادح والباغم»، إذ تأثر فيه برسالة الطير لابن سينا، ومثيلتها للغزالي، وبرسالة الحيوان لإخوان الصفا.

سعة ثقافته هذه؟ إن مجرد السؤال أمر سَبق إليه ابنُ سينا في مطلع قصته «وبعد فإنّ إصراركم معشر إخواني على اقتضاء شرح قصة حي بن يقظان هزم لجاجي وحلّ عقد عزمي في المماطلة والدفاع فانقدت لمساعدتكم»[1]. فقد قلّد ابنُ الهبارية ابنَ سينا في تمنّعه عن الإجابة إلا بعد الإلحاح. وكذلك ابن طفيل فقد قدّم لقصته قائلاً:

«سألت أيها الأخ الكريم... أنْ أبثّ ما أمكنني بثّه من أسرار الحكمة المشرقية»[2].

ولكن الشاعر جادٌّ في اعتذاره ـ كما نظنّ ـ لأنه ليس فيلسوفاً ـ وإن كان ملماً بأطراف من الفلسفة ـ وإنّ مَنْ يُقدم على نظم متن ما ينبغي أن يكون على معرفة بأصول هذا المتن، ولا سيما إذا كان متناً فلسفياً موغلاً في الرمز والتعقيد.

ولذلك فإنّ نظمه كان امتحاناً حقاً لثقافته الفلسفية، وما كان له أن يفخر بنظمه لهذه الرسالة مثلما فعل في مقدمة «نتائج الفطنة»[3] ومقدمة «الصادح والباغم»[4]. وفضلاً عن ذلك فإنّ الشاعر لم يكن محباً للفلسفة، ولا سيما «المشرقية».

قد قلتُ للشيخ الرئيس الذي ... تُعزى إليه الحكمة البالغة
إنّ علوماً كنتَ أوضحتها ... لنا بتلك الحجّةِ الدامغة
كادتْ تُضاهي الوحي، لكنّها ... قد أُنزلتْ عن غرفة فارغة[5]

---

(١) «أحمد أمين» حي بن يقظان ص٤٣.

(٢) المصدر السابق ص٥٧.

(٣) أشار بن الهبارية في مقدمته إلى قيمة كتاب كليلة ودمنة، وحاول أن يفخر على من سبقه في نظم ذلك الكتاب، وإن لي في نظم هذا الكتاب فضلاً على الأقران والأضراب، نتائج الفطنة ص٩.

(٤) أشار ابن الهبارية إلى تفوقه في المقدمة بقوله:

هذا كتاب فيه علم وأدب ... يفوق أنواع القريض والخطب

الصادح والباغم ص٨.

(٥) خريدة القصر، القسم العراقي ٢ : ١٢٥.

٣ ـ استيفاء النظم لأغراض الرسالة وقدرة الناظم:

كان ابنُ سينا غامضاً في رسالته، مما حال دون فهمها بيسر وسهولة. وهذا ما دعا ابنَ الهبارية إلى التصرّف في نظمها في بعض المواضع، خلافاً لما فعل في كتاب «نتائج الفطنة» فقد كان مقيّداً بالأصل النثري تقيّداً حرفياً.

وقد أعان تصرّفُ ابن الهبارية في نظم الرسالة على فهم المُراد أحياناً. ففي وصف الشيخ تجنّبَ التعمّق، فاكتفى بقوله:

شيخٌ من البلد القدسي منشؤهُ سَرى إلينا وحيّانا فأحيانا

صافٍ نقيٌّ من الأكدار ما خلطتْ به العناصر أقذاءً وأدرانا[1]

فترك التفصيلات التي تُغرق المعنى في الرموز البعيدة، وكان ابن سينا قد أشار إلى علم المنطق في ذكره علم الفِراسة، فقال:

«فما زلنا نطارحه المسائلَ في العلوم، ونستفهمه غوامضَها حتى تخلّصنا إلى علم الفِراسة، فرأيتُ من إصابته فيه ما قضيتُ له آخر العجب. وذلك أنّه ابتداءً لمّا انتهينا إلى خبرها، فقال: إنّ علم الفِراسة لمن العلوم التي تنقد عائدتها نقداً، فيعلن ما يسّره كل من سجيته. فيكون تبسُّطكَ إليه، وتقلّصك عنه بحسبه. وإنّ الفراسة لتدلّ منك على عَفْو من الخلائق، ومنتقَشٍ من الطين، وموات من الطبائع. وإذا مسّتكَ يدُ الإصلاح أتقنتكَ، وإنْ خرطكَ العارُ في سلك الزلّة انخرطت»[2].

وقال ابن الهبارية معبّراً عن ذلك:

حتى انتهينا إلى علم الفِراسة ميزان الرويّة فاحفظ ذاك ميزانا

فهو الوثيقة في علم الحقيقة إنْ لزمتَه لم تكن للشك حَيْرانا[3]

---

(١) البيت ٢ و٣ من النظم.

(٢) «مهرن» رسالة حي بن يقظان ١ : ٣ ـ ٤.

(٣) البيت ١٨.

فاكتفى بأن عَدّ علمَ الفِراسة ميزاناً يُبين حقائق الأمور. وكلّما اضطر إلى ذكر هذا العلم عرّج على الميزان. كما في حديثه عن القوة المتخيّلة:

وذا الممـــوِّه فـاهجـــره ولا تَيْقَنْ بما يقـول ولـو أعطـاكَ أيْمانـا
إلاّ إذا كنتَ بـالميـــزان معتضـداً فليس تُلفيـه في الميـزان خـوّانـا[1]

وألحّ على الميزان عندما عرض لماء عينِ الحق، التي ترمز إلى علم المنطق أيضاً:

فاغسلْ بها عنك أوسـاخَ الشكوكِ وغُصْ فيهـا فلستَ تُـرى من بعدُ عطشـانـا
وهـو الـذي نَيْلُـهُ الميـزانُ فـاغـدُ بـهِ لِما تَـــراهُ من الأشيـــاءِ وزّانـــا[2]

فابن الهبارية أشدّ وضوحاً من ابن سينا في تبيان القصد من هذه العين[3].

ومن هذا التوضيح التفصيلُ عند الحاجة، كما في قوله واصفاً قوى التخيّل:

فقـــال لي الشيخُ هـــذا مِصْقَـعٌ لَسِنٌ يَهذي كثيراً ومهما قـالـه مـــانـــا
ممـــوِّه، كـلُّ مـــا يأتي بســـه كَـذِبٌ ولستَ مستغنيـــاً عنـه وإنْ خـانـا
جـاسوسُ نفسك في الجزئي منـه ولم يـزل على دَرَكِ العُلـويّ مِعْـوانـا[4]

ولعله أدرك أن الأمر ما زال بعيداً، فصرّح بالمراد:

ورأس مال القوى العقليـة اعتضدت بـــه وقـد يُشتفى بـــالسُّمِ أحيـانـــا
قـــوى التخيّل يعني، وهي كـاذبـة قد صحّ تلبيسُهـا عندي وقد بـانـا[5]

---

(١) البيت ٤٧ و٤٨.
(٢) البيت ٧١ و٧٢
(٣) انظر «مهرن» رسالة حي بن يقظان ١ : ٨.
(٤) البيت ٢٦ و٢٧ و٢٨
(٥) البيت ٢٩ و٣٠

ومن هذا التصريح حديثه عن القوة الشهوانية:

وذا رفيقٌ خسيسٌ عـاهـرٌ شَـرِهٌ يـدعـو إلى اللـؤمِ إسراراً وإعـلانـا
فـلا تُطعـه وخـالِف مـا يشيرُ بـهِ فإنّـه لكـريمِ الطَّبعِ قـدْ شـانـا
يعني قوى الشهوة الـرعناءِ فهي كما وصفتُ فاعـزِمْ لها مَقتاً وعِصيـانا[1]

وقد اختصر ما لا ضرورة له أحياناً كما في أقسام الموجودات:

وقـال إذ قَسَمَ الموجـودُ جملتَـه ثـلاثـةٌ حَـدُّهـا مثنى ووُحـدانـا
مُـركـبٌ وبسيطٌ والبسيـط على قسمين قـد جعـلا حَدين حـدّانـا[2]

فقـد أغفل أمر المركب، وهـو «حـدٌّ يحوزه الخافقان، وقـد أُدرِكَ كنهـه، وترامت بـه الأخبار الجليّة المتواترة»[3].

ويلفت النظر إيجاز ابن الهباريـة الشديد في ميدان الكواكب. وذلك نتيجة التعقيد في الأصل النثري نفسه. من ذلك هذان البيتان:

وقال في السبعة الحَيْرى على حَسَبِ الـ تّنجيم إذ عـدّ بَـهْراماً وكِيـوانـا
وقـال في مـاثل الشّهب الثـوابت من بُعـدِ المسـافـة مـا إنْ عـدّ عنّـانـا[4]

على أنّ ابن سينا أفاض في الحديث عن هذه الكواكب ومدنها وصفاتها[5].

(١) البيت ٣٣ و٣٤ و٣٥

(٢) البيت ٦٤ و٦٥

(٣) «مهرن» حي بن يقظان ١ : ٧

(٤) البيت ١٠٣ و١٠٤

(٥) انظر «مهرن» حي بن يقظان ١ : ١٠ ـ ١٣.

ولكن الشاعر التزم عبارة ابن سينا أحياناً، كما في قوله:

ومنهمُ أممٌ قـــد هُـــذبتْ ولَجَت مع الملائكـــة الأبـــرار أقـــرانـــا

جِنٌ وحِـنٌ فهـــذا مَعْ تَخَصُّصـــه بـــالاجتنـان وذا إذ كـــان حنّانـــا[1]

ولعلّ غموض رمـوز ابن سينا من دوافع التزام الشـاعر النصّ النثري. ومما يـؤكد ذلك أنّ ابن الهباريـة غابت عنـه تلك الرموز التي أراد ابنُ سينـا منها: القـوى المدركة، والقوى المحركة، فلم يستطع تبيّنها منذ البداية:

والكلُّ قـــرنـــان طيّـــارٌ لسرعتـــهِ وقُـرْبِ إدراكـهِ الثـــاني وإنْ بـــانـــا

وســـائرٌ غيرُ طيـــارٍ يُنـــال بـــه القـريبُ يبعثنـــا منـــه ويغشـــانـــا[2]

وقد وقع الشاعر في التناقض أحياناً، كما في تصنيفه القوى الإنسانية:

فقـــوة العمل اليمنى مقـــاربـــةٌ من قـوة العلمِ أَخْـذانـا وإخـوانـا

تَروي عـن العقل ما تـروي وتكتبه وأَخْـذُهـا رحمةُ الفعّـالِ نَجّـانـا[3]

ثم قال:

وقـوة العقل في التحقيق كـائنـة عـــــلى اليمين ... ...[4]

وفي النثر: قوة العلم هي اليمنى[5]. فنحن أمام مشكلتين:

(الأولى) أنّه جعل قوة العلم اليسرى.

(والثانية) أنّه عبّر عن هذه القوة، فقال: قوة العلم مرة، وقوة العقل مرة أخرى وإذا كان الفلاسفة قد أجازوا[6] تسمية كلتا القوتين ـ العالمة والعـاملة ـ تسمية واحدة هي: قوة العقل، فكيف نحل المشكلة الأولى؟ لا شك أن في ذلك تناقضاً ظاهراً.

(١) البيت ١٣٤ و١٣٥

(٢) البيت ١٢٠ و١٢١

(٣) البيت ١٤٠ و١٤١

(٤) البيت ١٤٣

(٥) انظر «مهرن» حي بن يقظان ١ : ١٨

(٦) انظر «تهافت الفلاسفة» ص٢٤١ ـ ٢٤٢

٤ ـ أسلوب الشاعر:

يلحظ المرء تبايناً بين النظم والأصل النثري. أما أسلوب ابن سينا غامض غريب مستغلق، بل هو أسلوب الفيلسوف العالِم، وأما أسلوب ابن الهبارية فواضح قياساً إلى النص النثري، ولكنه لا يخلو من الكلمات الغريبة، التي ربّما كانت نتيجة تأثّره بالغريب الوارد في الرسالة ونتيجة غموض بعض الرموز.

على أنّ النظم حفل ببعض الصور، فهو يشبه الاعتدال في تدبير القوى البدنية ـ الغضبية والشهوانية ـ بالنار والماء:

ولا تغالِبْهما عُنْفاً يسوؤُهما ... وداوِ هذا بهذا تُحيِ مُجّانا

والنارُ بالماء تُطفا كلما التهبتْ ... والنارُ تكسب جُرْمَ الماءِ إسخانا[1]

وقد عقّب على انتقال «الصور» إلى أضدادها في عالم الكائنات:

لكنْ أبى الكوْن حفظَ الثابتاتِ لهُ ... فبالتعاقبِ لا بالثابتِ انصانا

تزاحمتْ فيه أضدادٌ فما ثَبَتَتْ ... فيه كما تتركُ النزّالةُ الحانا[2]

ولعل من أجمل هذه الصور تشبيه الكون، في أجياله المتعاقبة، بالبستان:

كأنّهم ثمرٌ يُجْنى وتخلِفُها ... أمثالُها ونظنُّ الكون بستانا[3]

وهكذا فقد حاول ابن الهبارية ـ الشاعر ـ فهمَ رموز «حيّ بن يقظان» ومعانيها، ونظم ما فهم. فإذا ما تعثّر عاد إلى النثر ليقتبس منه أسراره الغامضة نظماً وتنسيقاً، فأوضحَ بعضَ الأمور وأبقى على غموض بعضها. على أنّ طبيعة الموضوع اقتضت ذلك الأسلوب العلمي وتلك الكلمات الاصطلاحية.

---

(١) البيت ٤٥ و٤٦

(٢) البيت ٨١ و٨٢

(٣) البيت ٩٨

ثانياً: التحقيق

١ ـ النسخة المخطوطة

في مكتبة «طوبقبو سراي» نسخة وحيدة من نظم ابن الهبارية[١] محمد بن محمد (ـ٥٠٩هـ) لرسالة ابن سينا «حيّ بن يقظان»، وهي ضمن مجلّد مخطوط تحت رقم ٣٢٦٨/ ٥ في مجموعة «أحمد الثالث». ويعود تاريخ كتابة هذا المجلّد إلى سنة ٥٨٠هـ فقد جاء في نهايته «علّقه العبد الفقير إلى رحمة الله محمد بن عيسى بن هيّاج الطبيب في ذي الحجة سنة ثمانين وخمسمئة». والنظم في تسع صفحات من القطع المتوسط وقد قام معهد المخطوطات العربية في القاهرة بتصويره[٢].

وقد أشرت إلى التعليقات على النص بالحروف الأبجدية، وإلى الشروح والتفسيرات بالأرقام. كما أضفت بين معقوفين عنوانات جزئية توضح أقسام النظم وتسلسله. وقد أحلت إلى أوراق المخطوطة بأرقام بعدها خط مائل عند بداية كل صفحة.

٢ ـ نظم ابن الهبارية لحيّ بن يقظان

[لابن سينا]

١/ سئل الشريفُ الكامل نظام الشرف، مجد الأئمة ذو الحسبين، أبو يعلى، محمد ابن محمد بن صالح العباسي، رضي الله عنه، نَظْمَ كلام أبي علي بن سينا في حيّ بن يقظان. فقال: لست من أهل ذلك العلم ولا تعاطيت فهمه قطّ. فألزِم ذلك امتحاناً، فأجاب بعد الامتناع، فقال:[٣]

---

(١) وهو من شعراء العصر العباسي الذين أجادوا نظم المتون في القرن الخامس

(٢) فهرس المخطوطات المصورة ١ : ٢٣٨ والأعلام ٧ : ٢٤٨

(٣) من البحر البسيط

[حيُّ بن يقظان]

١ ـ حيُّ بـن يقظانَ[١] ما حيُّ بنُ يقظـانا سبحـان مـوجـد ذاك الشيخ سبحـانـا

٢ ـ شيخٌ من البلـد القـدّسي[٢] منشـؤه سرى إلينـــا وحيّـانـــا فاحيـانـــا

٣ ـ صـافٍ نقيٌّ مـن الأكـدار مـا خلطَتْ بـــهِ العنـــاصرُ[٣] أقـــذاءً وأدرانـــا

٤ ـ رأيتُـه وأنـا في رُفقـةٍ[٤] جُعِلـوا على وصـولي إلى المقصـود أعـوانـا

٥ ـ فَـراقَ لي إذ بـدا لي حسنُ منظـرِهِ وجئتَـه لاتّفـاقِ الجِـنْسِ عَجـلانـا

٦ ـ أتيتُـه مُستمـدّاً من فضـائلـهِ معنىً يُكَمِّلُ مِنْ معنـاه نقصـانـا

---

(١) قوله «حي» يتعلق بالحس والحركة، فجعل الحس مشـاراً به إلى العقلية، وجعل الحركة مشاراً بها إلى وجود مابعـدها عنه. وقولـه «ابن يقظان» أراد به أن وجوده ليس بـذاته، بل عن غيره إذ كان وجـود الابن بوجه مـا عن الأب، والأب أجل حالاً من الابن، فالحي يحتمل أن يكـون نائماً وأن يكون يقظان، وحال اليقظـة منه أجل من حال النوم، إذ النوم أشبه بـالقوة، واليقظة أشبه بالفعل.

مجلة المجمع العلمي العـربي ٢٩ : ٥٦٥ ـ ٥٦٦ (مقالـة لمحمد صغير حسن المعصـومي بعنوان: رسالة حي بـن يقظان مع شرحها لابن سينا في المجلدين ٢٩ و٣٠)، ورسـائل الشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن عبـد اللـه بن سينـا في أسرار الحكمـة المشرقيـة (تحقيق مهـرن) ١ : ٢ (الرسـالة الأولى: رسـالة حي بن يقظـان مع شرح مختار). وقـد اشار ابن سينـا إلى (حي بن يقظان) في (رسالة القدر) ضمن رسائله في أسرار الحكمة المشرقية ٤ : ١ حيث قال: «وقلت لله من شيخ شبيه بحي بن يقظان، ولا أبعد أن يكونه، ولعل الذي بيده ملكوت كل شيء أن يمتعني بلقاء ثنيّ يعود جذعاً بعد تناء طال طوله وتمادت مدته...».

(٢) العالم العقلي المقدس عن الدنس بأحوال الحسيات. «مهرن» رسالة حي بن يقظان ١ : ٢

(٣) العنصر اسم للأصل الأول في الموضـوعات، فيقال عنصر المحـل الأول الذي باستحـالته يقبل صوراً تتنوع بها كائنات عنها إما مطلقـاً وهو الهيولى الأولى، وإما بشرط الجسمية، وهو المحل الأول من الأجسام التي يتكون عنهـا سائر الأجسام الكائنةبقبـول صورتها. والمتاخرون من الحكماء على أن العنـاصر أربعـة: النـار والهواء والأرض والماء. تسع رسـائل ص٨٤ ـ ٨٥ وموسوعة اصطلاحات العلوم ٤ : ٩٦١ والمعجم الفلسفي ٢ : ١١١.

(٤) يريد بهم قواه التي هي لـه في البدن، وأراد ههنا ما يحتاج إلى الاستعانة بـه من جملتها خاصة فيما هو بصـدده، وذلك كالتخيل والوهم ومـا قبلهما من القوى المدركة من الحواس الظـاهرة والحس المشترك. «المعصومي» رسـالة حي بن يقظـان ٢٩ : ٤١٦ وشرح الشيخ أبي منصور لحي بن يقظان (مخطوط).

وقد شرح «مهـرن» ١ : ٢ الرفقـة بقوله: سـائر قوى الإنسان التي لا بـد له من الاستعـانة بها في الخروج من القوة إلى الفعل.

٧ ــ فإذ رآني قــريبــاً منــه رَغبتُنــا فيــه دعــانــا وحَيّــانــا ونــادانــا

٢ / ٨ ــ لأنّــه والــدٌ بــرٌ يميــلُ إلى أولاده لم يَــزَلْ بــاللطفِ مَنّــانــا

٩ ــ فقلتُ: مَنْ وابنُ مَنْ والدارُ أيــن ومــا الشــانُ الــذي ليس يُــرْجى غيرهُ شــانــا؟

١٠ ــ فقــال: إنّي فعّــالٌ[1] وُجِــدتُ وإنْ أُقــلْ وُجــدت لــذاتي قلــتُ بُهتــانــا

١١ ــ بَلْ مَنْ وُجــودي عنــه كــامــلاً أبــداً لــذاتــهِ فانــا حيّ بنُ يقظــانــا

١٢ ــ ومــوطني الملأ الأعلى المقــدّسُ عَنْ جِنس وعن عُنصر نــاهيكَ أوطــانــا[2]

١٣ ــ سَيْحِيْ[3] لأعقلَ ذاتي إذ تَعَقّلُــهُ(أ) فــرْض أدين بــه والحرُّ مَنْ دانــا

١٤ ــ وغــايتي المبــدأ الكليُّ[4] إنّ بــه وَجــدتُ في العلم إيضــاحــاً وتبيــانــا

١٥ ــ وخصّني دون غيري بالعلــومِ وعَنْ عِلمي رَوى من رَوى حِفظــاً وإتقــانــا

١٦ ــ فلم نــزل نتناجــى بــالعلــوم بِــلا لفظٍ ونَقبلُ مــا بــالفيضِ أعطــانــا

(أ) أصل هذا الشطر: سلحى لا عقل داي اد لعقله.

(١) الفعّال: العقل الفعّال، وقد فسره ابن سينا بقوله: أما من جهة ما هو عقل فهو أنه جوهر صوري ذاته ماهية مجردة في ذاتها لا بتجريد غيرها عن المادة، وعن علائق المادة هي كل موجود. وأما من جهة ما هو عقل فعّال فهو أنه جوهر بالصفة المذكورة من شأنه أن يخرج العقل الهيلاني (كذا) من القوة إلى الفعل بإشراقه عليه. تسع رسائل ص ٨٠ ــ ٨١.

(٢) أي العالم العقلي المقدس عن الدنس بأحوال الحسيات. «مهرن» ١ : ٢.

(٣) السِياحة: الذهاب في الأرض للعبادة والترهب، وساح في الأرض يسيح سياحة وسيوحاً وسَيْحاً وسَيحاناً: أي ذهب. وفي الحديث: «لا سياحةَ في الإسلام» أراد بالسياحة مفارقة الأمصار والذهاب في الأرض «اللسان» مادة «سيح».

(٤) عِلّةُ العِلل، أي الله جل جلاله.

١٧ــ حتى انتهينا إلى علم الفِراسة[١] ميزان الرّويّةِ فاحفظ ذاكَ ميزانا

١٨ــ فهو الوثيقة في علمِ الحقيقةِ إنْ لزمتَه لمَ تَكُنْ للشكِ حَيْرانا

١٩ــ وكيفَ [حَيْرةُ مَنْ](أ) امسى يُحقِّقُ تصحيحاً قياساً لرُتبةِ وبُرهانا

٢٠ــ فكان فيه إماماً ثم قال: وهل يرجو تَعَقُّل مِثْلي مثلُكَ الآنا

٢١ــ وأنتَ في رُفقاء السَّوء[٢] مُمْتَحَنٌ مثل الأسير يعاني الصبرَ ألوانا

٢٢ــ وأنتَ فانٍ بهم إن لم يُغِثْكَ هُدى وعِصمةٌ لم تَزَلْ حَيرانَ ولها نا

٢٣ــ فحين أبغضتُهم مِن غير معرفةٍ لسوءِ ما قاله أطرقتُ لهفانا

٢٤ــ لأنّهم يخدعوني(ب) بالمَحال فكم ثوى بها جاهلاً قبلي وكم حانا!

٢٥ـ هذا[٣] يشيرُ بما لا خيرَ فيه وذا[٤] يَنهى عن الخير تَسهيلاً وإهوانا

٢٦ــ فقال لي الشيخُ هذا[٥] مِصْقَع لَسِنٌ يَهذي كثيراً ومهما قالَه مانا

٢٧ــ مُمَوِّهٌ كُلُّ ما يأتي به كَذِبٌ ولستَ مستغنياً عنه وإن خانا

٢٨ــ جاسوسُ نفسِكَ في الجزئي(ج) منه ولَمْ يزل على دَرَكِ[٦] العُلويّ مِعْوانا

٣ / ٢٩ــ ورأس مالِ القُوى العقليةِ اعتَضدَتْ بهِ وقد يُشْتَفى بالسُّمِ أحيانا

[قُوى التَّخيُّل]

٣٠ـ قوى التخيّل يعني وهْيَ كاذبةٌ قد صحّ تَلْبيسُها عندي وقد بانا

(أ) سقطت من الأصل، والتصحيح من لَحَق في الحاشية.

(ب) كذا في الأصل.

(ج) في الأصل: الجزويّ.

---

(١) أي علم المنطق. «المعصومي» رسالة حي بن يقظان ٢٩ : ٥٦٧

(٢) القوى البدنية

(٣) القوة الغضبية

(٤) القوة الشهوانية

(٥) قوة التخيّل

(٦) الدَرَك: من أدركت الشيء إذا طلبته فلحقته. «المصباح المنير» مادة «درك»

[القوى الغضبية]

٣١ـ وذا الرفيق[١] إذا ما ثارَ ثائِرُهُ حَسِبتَهُ سَبُعاً أو خِلْتَ شيطانا

٣٢ـ عن قوة الغضب الطَّيْشيِّ أخبرني والطيشُ إنْ لمْ يُسكَّنْ عادَ شَرّانا[٢]

[القوى الشهوانية]

٣٣ـ وذا[٣] [رفيقٌ](أ) خسيسٌ عاهرٌ شَرِهٌ يدعو إلى اللؤم(ب) إسراراً وإعلانا

٣٤ـ فلا تُطِعهُ وخالِفْ ما يشير به فإنّه لكريمِ الطَّبعِ قَدْ شانا

٣٥ـ يعني قوى الشهوة الرَّعناءِ فهي كما وصفتُ فاعزِمْ لها مَقْتاً وعِصيانا

٣٦ـ وأنت مُمْتَحَنٌ من الثلاثةِ[٤] فاهجرْهُم ولاتَرْضَهُمْ رَهطاً وأخْدانا[٥]

[العالمُ العقلي]

٣٧ـ وارحلْ إلى وطني[٦] واسكنْ به فهُمْ لا يُرْتَضَوْنَ لذاك الأرض سكانا

٣٨ـ يا حبّذا البلدُ القُدْسِيُّ من بلدٍ وحبّذا أهلُهُ أهلاً وجيرانا

٣٩ـ يعني به العالَمَ العلويَ فهو كما أشار ما زال للأبرارِ أعطانا[٧]

(أ) سقطت من الأصل

(ب) في الأصل: اللوم

(١) القوة الغضبية

(٢) أراد المبالغة من «الشر» ولم يَرِد في اللغة «شَرّان»، وإنما ورد «شِرير». و«الشّرانُ» على تقدير فَعلان: دوابّ مثل البعوض، واحدتها «شرانة»، لغة لأهل السواد، وهو شيء تسميه العرب الأذى، شبه البعوض، يغشى وجه الإنسان ولا يعضّ. «اللسان» مادة «شرر».

(٣) القوة الشهوانية

(٤) أي من القوى الثلاث: المتخيّلة، والغضبية، والشهوانية.

(٥) الأخدان: جمع «خِدن» وهو الصديق

(٦) أي العالم العقلي

(٧) الأعطان: جمع العَطَن، وهو للإبل كالوطن للناس. اللسان مادة «عطن».

٤٠ــ أرضٌ يَحِلُّ بها مَنْ لَــمْ يَعُمَّ على ... لطيفــهِ كَــدَرٌ يــومــاً ولارانــا

٤١ــ وقــال رافِقْهُمْ[1] حتى تفـارقَهُمْ ... بِحُسنِ مَسٍّ فإنّ البَيْنَ مــا آنــا

[مداواة القوى الغضبية والشهوانية بالمنطق]

٤٢ــ تَـوَسُّطـاً واعتـدالاً في السيـاسة والتَّـدبيرِ وامـزجْ لهم وَصْـلاً وهُجـرانـا

٤٣ــ وداوِ هــذا بهذا يُنْتَفَعْ بِهما[2] ... واجعل لهذا[3] على هـذاك[4] سُلطـانـا

٤٤ــ ولا تَلِنْ لهما ليْنـاً يـزيـدهما ... بَغْيـاً فمَنْ لانَ في أحـوالِـهِ هــانـا

٤٥ــ ولا تُغـالِبْهُما عُنفـاً يَسـوؤهما ... وداوِ هــذا بهذا تُــحْيِ مُــجّانا

٤٦ــ والنارُ بـالماء تُطفـا كُلّما التَهَبَتْ ... والنـارُ تكسِـبُ جُـرْمَ الماءِ إسخــانـا

---

(١) أي رافِقْ القوى البدنية الثلاث المذكورة آنفاً.

(٢) أي سلط القوة الغضبية على القوة الشهوانية تستفد من كلتيهما.

(٣) علم المنطق.

(٤) القوة المتخيلة

[سلطة المنطق على قوى التخيّل]

٤٧ـ وذا المُمَوِّهُ[١] فاهجُرْهُ ولا تَيْقَنْ[٢] بما يقـــولُ ولَـــو أعطـــاك أيْمانـــا

٤٨ـــ إلاّ إذا كنتَ بـــالميـزان[٣] مُعتَضِـداً فليسَ تُلْفِيْـــهِ في الميـــزانِ خَـــوّانـــا

٤٩ـــ بَلْ صادقـاً فـاعتمـدهُ واعتقدْ، أبـداً فيما نفيـــد، تصـــديقـــاً و إيمانـــا

٤ / ٥٠ـ فحين جرَّبتُهم كـانوا كما وُصِفوا وكـــان حـــالي بهم يجري كما كـــانـــا

٥١ـــ أراحني اللـــهُ منهـم إنّهم سَفِلٌ[٤] فقـــد بقيتُ بهم حَيْرانَ حَـــرّانـــا[٥]

[طلب العالم العقلي وتعويق البدن]

٥٢ـــ وقـــال لي إذ رآني شَيّقـا قَـــرِمـاً إلى سيـاحتـــهِ[٦] للشَّـــوقِ حَنّـانـــا

٥٣ـــ لا تطلُبَنْهـــا فما في مثلهـــا طَمَعٌ ما دمتَ في السجن لم يمكنْكَ (أ) إمكـانا

٥٤ـــ مقيَّـداً حـامـــلاً عِبئـاً تنـوء بـهِ يعني بـــذلـك أجســـامـــاً وأبـــدانـــا

٥٥ـــ فإنّ أمـــرَكَ في دنيـــاكَ مختلِفٌ على التفـــاوتِ إسهـــالاً و إحـــزانـــا

(أ) كذا الصواب. وفي الأصل: «لا يمكنك».

---

(١) القوة المتخيلة.

(٢) اليقين نقيض الشك. والعلم نقيض الجهل. ويَقِنَ يَيْقَنُ يَقَناً، وهو يَقِن. «اللسان» مادة «يقن».

(٣) علم المنطق.

(٤) السَّـفالة: النَّـذالة. وَسَفِلَةُ النـاس وَسِفْلَتُـهُم: اسافلهم وغـوغاؤهم. والسَّفِلَـة: السُّقاط من الناس. يقـال: هو من السَّفلة، ولا يقال: هـو سَفِلَة لأنها جمع. والعامّة تقـول: رجلٌ سَـفِلَةٌ من قـوم سفل، قـال ابن الأثير: وليس بعـربي. «اللسان» مـادة «سفل» و«تقـويم اللسـان» لابن الجوزي ص١٢٧.

(٥) الحَـرّان: العطشان. «اللسان» مادة «حرر»

(٦) أي: سلوك سبيل العقل في اقتباس العلم وتحصيله.

٥٦ـ طوراً تُرَى في حضيضِ الكَوْنِ مُنْغَمِساً تُخال ممـا يـرى الجُسَيْمَ(أ) سَجّانـا

٥٧ـ تَبني بجهلك جِسماً لـو فطنتَ لَـهُ هـدمْتَـهُ قـائلاً لا كنـتَ بُنيـانـا

٥٨ـ وتـارةً مفـرَدا عنـهُ ومُتّصِـلاً بنـا(١) كأنّك عنـه عُـدْتَ عُـرْيـانـا

٥٩ـ وليس يظفر مثلي(٢) بالسِياحة مَنْ يُمسي ويُضْحي بخمـرِ الجَهْلِ سَكرانـا

٦٠ـ فـامرحْ بسـاحتِكَ التي تَهُمّ بها(ب) مـا دمتَ في الحَبْس للمكـروه نَدمـانـا(٣)

٦١ـ فحين تخرجُ منـهُ(٤) تَستقِرّ كما تـرجـو وتلحقُ بي(٥) فَـرْحـانَ جَـذْلانـا

٦٢ـ ولا تَراهُـمْ(٦) ولو آثـرتَ صُحبتَهُمْ مُنِعتَ منهـا(٧) كفى بـالحربِ خُسرانـا

٦٣ـ وبـان لي علمـه بـالكلّ(ج)

[تقسيم الموجودات وتركيبها من صورة وهَيُوْلَى]

٦٤ـ وقـال إذ قَسَـمَ الموجـودَ جُملتَـهُ ثـلاثـةٌ حـدّهـا مَثنى ووُحْـدانـا(٨)

٦٥ـ مُـرَكّبٌ وبسيـطٌ والبسيطُ علـى قِسْمَينِ قـد جُعِـلا حَـدّيْنِ حَـدّانـا(٩)

(أ) في الأصل «الجسم». ولا يستقيم الوزن بها.
كذا الصواب. وفي الأصل «لا يمكنك».
(ب) في الأصل: «فامزجْ بساحتك اللائي يهم بها» والمعنى غير واضح
(ج) بقية البيت ساقط من الأصل وكتب إلى جانبه في الحاشية: «كان بياض».

(١) أي متصلاً بالعالم تاركاً أمر بدنك
(٢) أي مثل العقل الفعّال
(٣) الندمان: بمعنى النديم
(٤) أي: من البدن
(٥) أي: بالعقل الفعّال.
(٦) أي ولا ترى قوى البدن.
(٧) أي من السياحة
(٨) الحدّ هـو القول الـدال على ماهيـة الشيء، أي على كمال وجـوده الذاتي. والحدود الثـلاثة مـا تنقسـم الموجـودات الطبيعية إليـه، وهي المركبـات المحسوسـات والهيولى والصـورة. والمراد بالمركب الحد الذي يحوزه الخافقان إلى المركبـات المحسوسات في عالمي الأرض والسماء، وقد أغفل الناظم التفصيل فيـه، في حين أنه فصل في أمر البسيط. تسع رسـائل ٧٨ و«المعصومي» رسالة حي بن يقظان ٣٠ : ٩٣ ـ ٩٤.
(٩) أي حـد مـا قبل المشرق وهـو مستقـر الصورة، وحـد ما وراء المغـرب وهـو مستقر الهيـولى. و«حدانـا»: مكوّنة من الفعل «حَد» والـف التثنية، و«نا» الدالـة على المفعول. والحدّ الفصل بين الشيئين لئلا يختلط أحدهما بالآخر.

٦٦ـ وهْوَ الهَيُولى[١] فإنْ بالصورة[٢] اتّصلتْ ألفَيْتَ رَكْباً عباديداً ورُكبانا[٣]

٦٧ـ في الغرب والشرق تَلقى العينُ دونَهُما[٤] حُجباً تَرُدُّ عيونَ الخلقِ عُميانا

٦٨ ـ لا يُدْرَكان ولا يسطيعُ نَيْلَهُما من كان عن كَسْبِ ذات العِلم[٥] كسلانا

٦٩ ـ وليسَ تَحظى بما أصبحتَ تطلُبُه ما دمتَ من ماءِ عَيْنِ الحق[٦] صديانا

٧٠ ـ فإن ظَفِرْتَ بتلكَ العينِ فُزْتَ بهِ فإنّ فيها لما تَرجوهُ إمكانا

---

(١) قال ابن سينا في حدّ الهيولى: الهيولى المطلقة هي جوهر، ووجوده بالفعل إنما يحصل لقبول الصورة الجسمية لقوة فيه قابلة للصور، وليس له في ذاته صورة تخصه إلا معنى القوة. ومعنى قولي لها جوهر هو أن وجودها حاصل لها بالفعل لذاتها. ويقال هيولى لكل شيء من شأنه أن يقبل كمالاً ما وأمراً ليس فيه، فيكون بالقياس إلى ما فيه موضوع. تسع رسائل ص ٨٣ ـ ٨٤.

(٢) المراد بحد الصورة هنا أنه الموجود في شيء لا كجزء منه، ولا يصح قوامه دونه مفارقاً له، ويصح قوام ما فيه دونه إلا أن النوع الطبيعي يحصل به كصورة الإنسانية والحيوانية في الجسم الطبيعي الموضوع له. وربما قيل صورة للكمال المفارق مثل النفس، فحده أنه جزء غير جسماني مفارق يتميز به وبجزء جسماني نوع طبيعي. تسع رسائل ص٨٣.

(٣) الرُكب والرُكبان لا يكون إلا لركاب الإبل. والعباديد والعبابيد: الخيل المتفرقة في ذهابها ومجيئها، ولا واحد له في ذلك كله، ولا يقع إلاّ في جماعة ولا يقال للواحد «عبديد». وذهبوا عباديد: أي ذهبوا متفرقين. «اللسان» مادة «ركب» ومادة «عبد».

(٤) أي دون الهيولى والصورة

(٥) أي علم المنطق

(٦) علم المنطق أيضاً.

[تبديد الشكوك وصواب حكم المنطق]

٧١/٥ــ فاغسلْ بها عنكَ أوساخَ الشُّكوكِ وغُصْ فيها فلستَ تُرى مِنْ بَعْدُ عَطشانا

٧٢ــ وهو الذي نَيْلُهُ(أ) الميزانُ فاغدُ بهِ لِما تَراه من الأشياءِ وَزّانا

٧٣ــ فلستَ تغرقُ في بَحْرِ العَمى[١] أبداً ولستَ تَرهبُ أطواداً وقِيعانا

٧٤ــ والنفسُ[٢] في ظُلماتِ الشَّكِ والِهَةٌ والمرءُ مهما زال دونَ القَصْدِ حَيْرانا

٧٥ــ لا يَدْفَعُ الشَّكَ عنها غيرُ قوّتِها فذلكَ الماءُ[٣] فافهمْ رمزَ نَجْوانا

[الهَيُوْلى والصُّورة]

٧٦ــ عقلُ الهَيولى[٤] بهِ تَقْوَى فاولُ ما تَرى رِجالاً كِرام الطَّبْعِ غُرّانا[٥]

٧٧ــ إنّ الهيولي لذاتٌ مظلمٌ فإذا تَحمَّلَ الصورةَ العُلْوِيَّةَ ازْدانا

٧٨ــ مِنْ مغربيُ جلاه المَشْرِقيُّ(ب) إلى أنْ عادَ كالصبحِ ملءَ العَيْنِ حُسّانا[٦]

(أ) في الأصل: بله.

(ب) في الأصل: «من مغربي جلاه الشك إلى». والتصحيح من لَحَق في الحاشية.

---

(١) أي لم تلبث في الجهل الشامل. «المعصومي» رسالة حي بن يقظان ٣٠ : ٩٥

(٢) النفس اسم مشترك يقع على معنى مشترك فيه الإنسان والحيوان والنبات، وعلى معنى مشترك فيه الإنسان والملائكة السماوية. فحدّ النوع الأول: أنه كمال جسم طبيعي إلى ذي حياة بالقوة. وحدّ النفس بالمعنى الآخر: أنه جوهر غير جسم هو كمال لجسم محرك له بالاختيار عن مبدأ نطقي أي عقلي بالفعل أو بالقوة، فالذي بالقوة هو فصل النفس الإنسانية، والذي بالفعل هو فصل أو خاصة للنفس الكلية الملكية. تسع رسائل ص٨١.

(٣) علم المنطق

(٤) العقل الهيولاني: قوة للنفس مستعدة لقبول ماهيات الأشياء مجردة عن المواد. تسع رسائل ص٨٠

(٥) الطبع: هو كل هيئة يستكمل بها نوع من أنواع فعلية كانت أو انفعالية. تسع رسائل ص٨٦.

(٦) الحُسّان :أحسن من الحسن. والجمع: حُسانات. «اللسان» مادة «حسن».

٧٩ ــ لأنّهـا من مفيـد الخير[١] واهبـةٌ سبحـانَ مَنْ لَمْ يَـزَلْ بـالخَلْـقِ رَحمانـا

٨٠ــ بهـا يَتـمُّ وبـالتـاليفِ بينهمـا عـادتْ لـه التسعـةُ الأعـراض[٢] أركـانـا[٣]

٨١ــ لكنْ أبى(أ) الكـونُ حِفْظَ الثـابتـاتِ لَـهُ فبـالتعـاقُبِ لا بـالثـابتِ انْصـانـا[٤]

٨٢ــ تـزاحمتْ فيـه أضـدادٌ فمـا ثَبَتَتْ فيـه كما تتركُ النَـزّالـةُ الحانـا[٥]

٨٣ــ فضـلٌ مُفْتَحَنـاً في كَـوْنِـهِ بِهِـمُ يَكفيـهِ مِنْ ذاكَ مـا قـاسى ومـا عـانى(ب)

[العوالم الأربعة]

٨٤ـ ومـا تَكَوَّنَ دونَ الـزّمهريـرِ أقـا ليمُ تُعَـدُّ بـرأي العَينِ عُمـرانـا[٦]

٨٥ــ فمعـدِنٌ ونباتٌ والصـوامِتُ والْـ إنْسانُ بـالنُّطقِ حقـاً كـانَ إنسـانـا

٨٦ــ والكـلُّ منهـا هَيُـولى حاملٌ صـوراً فَقَـدْ تشـاكلَ في التحقيـقِ حَـدّانـا

٨٧ــ لكنْ تـوسُّطُ أجـرامِ السمـاءِ إذا أخلصت رأيـكَ تَلقـاهـا وتلقـانـا

٨٨ـ ونحنُ وهْيَ إذا مـا الصورةُ انبسطتْ على الهيـولى على شَكلٍ وإنْ بـانـا

٨٩ــ مُـؤهَّلينَ لأعـراضٍ نُلِـمُّ بِهـا(ج) من الحوادث نَغشـاهـا وتَغشـانـا

(أ) في الأصل: «أبا»

(ب) في الأصل: «وما عانا»

(ج: في الأصل: «بهم»

---

(١) العقل الفعال

(٢) العَرَض عند المتكلمين والحكماء هو ما يقـابل الجَوْهر. وأقسامه تسعة: الكم، والكيف، والأين، والوضع، والملك، والإضـافة، ومتى، والفعل، والانفعـال، والأعراض التسعـة من المشهور بين الحكماء. «موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية» ٤ : ٩٨٦ ـ ٩٨٧.

(٣) الركن: جسم بسيط هو جـزء ذاتي للعالم مثل الأفلاك والعناصر، فالشيء بـالقياس إلى العالم ركن. تسع رسائل ص٨٥.

(٤) أي إن الكائنات الفاسدة لا تستقر فيها الصور.

(٥) الحَان: جمع الحانة

(٦) دون الزمهرير: عالَم الهيولى. والأقاليم: هي المعدنية والنباتية والحيوانية والإنسانية.

[العالَم العلويُّ وأقاليمه]

٩٠ــ وهكذا الحالُ فوقَ الزمهريرِ[١] أقا ليمٌ تُخالُ ببَعض الوَصْفِ إيّانا

٩١ــ لأنّهم فقراءُ مثلُنا أبَداً إلى المُفيدِ الذي بالفيضِ أغنانا

٩٢/٦ ـ فماخَذُ(أ) الكائناتِ الفاسداتِ[٢] معاً يُلقى عليها من الفعّالِ أحيانا

٩٣ــ لكنْ بواسطةٍ وَهْيَ السماءُ كما نحوَ السماءِ عن الفعّالِ مَبْدانا[٣]

[ترتيب العقول]

٩٤ــ وإنّما يأخذ الفعّال مأخذه(ب) عن واحد هو مولاه ومولانا

٩٥ــ كلٌّ بمنْ فوقَه يُحبَى ويُعطى كما نُعطى فمَعْناهُ في التحقيق معنانا

٩٦ــ لكنّ سكانَ دون الزمهرير غدا [إذ] انتقى لهمُ عادا وأدنانا(ج)

٩٧ــ نظن مَعناه مَبْدانا ونحسُبُهمْ بمرَهم فيه بالإسراعِ قُرسانا

٩٨ـ كأنّهم ثَمَرٌ يُجنى(د) وتَخْلفها أمثالها ونظنُّ الكونَ بستانا

٩٩ــ والكلّ منّا إلى مُرساه مفتَقِرٌ لكنْ تَخالف مُرْساها ومُرسانا[٤]

(أ) في الأصل: «فما حد».

(ب) في الأصل: «ما حده».

(ج) في الأصل: لكن سكان دون الزمهرير غدا. انتقالهم عادا وأدانا. والشطر الثاني من البيت مسكور، وغير واضح المعنى.

(د) في الأصل: «محنا».

---

(١) فوق الزمهرير: أي الأجرام السماوية.

(٢) أي الأنواع المعدنية والنباتية والحيوانية والإنسانية.

(٣) أي إن النور الذي هو الأمر العقلي، يأتي إلى الأجرام السماوية بلا توسط، ويأتي إلى الكائنات الفاسدة بتوسط السماوية. وانظر «مهرن» رسالة حي بن يقظان ١ : ١٠.

(٤) أي مُرْسى قواعد السماويات ومُرسى قواعد الأرض.

[الأفلاك والأجرام السماوية]

١٠٠ــ ونَحنُ أصغرُ أجساماً وأسرعها تَنَقُّلاً كلّما حَقَّقتَ مسرانا[١]

١٠١ــ لسرعة القمر الجاري وخِفَّتِهِ وجَعْلها فلكَ الأبراج ميدانا[٢]

١٠٢ــ له قصور إذا عُدّتْ ثمانيةٌ عِدادُ أجرامِها يخوينَ قُطبانا[٣]

١٠٣ــ وقال في السبعةِ الحَيْرى على حَسَبِ التَّنجيمِ إذْ عَدَّ بَهْراماً وكِيْوانا[٤]

١٠٤ــ وقال في ماثل الشُّهبِ الثوابتِ مِنْ بُعْدِ المسافةِ ما إنْ عُدّ عَنّانا[٥]

١٠٥ــ وقال أدناهُ محدودٌ يَبِيْنُ لنا وحدُّ أعلاهُ إن رُمناهُ أعنانا

١٠٦ــ العدُّ والحدُّ ما لا يُستطاع بَلى قد عدَّ ألفاً ويبقى (أ) منه أقوانا[٦]

١٠٧ــ وَ مالَهُ مُدنٌ إذ لا اختلافَ لها ولا أتى بعضُها بعضاً ولا دانا[٧]

(أ) في الأصل: «وبقا».

---

(١) أشار بذلك إلى فلك عطارد، وواجب أن يكون ساكنه الذي هو عطارد أصغر جثة مما تقدمه، وهو القمر، وأبطأ حركة منه. «المعصومي» رسالة حي بن يقظان ٣٠ : ١٠٤.

(٢) أشار إلى منطقة فلك الكواكب الثابتة التي تسمى فلك البروج «المعصومي» ٣٠ : ٢٨٨ ـ ٢٨٩.

(٣) يشير بذلك إلى فلك القمر. والقصور الثمانية هي الأجرام التي ينقسم إليها فلك القمر، ويشتمل عليها بموجب ما وجد له من الحركات، فإنه وجد له ثماني حركات، فوجب أن يكون لكل حركة منها جرم على حدة. «مهرن» رسالة حي بن يقظان ١ : ١٠ والمعصومي «٣٠ : ١٠٤».

(٤) بهْرام: المريخ. وكيوان: زحل. وبقية السبعة: القمر، وعطارد، والزهرة والشمس، والمشتري. «مهرن» ١ : ١١ ـ ١٢ و«اللسان» مادة «بهر» و«كون».

(٥) أشار بذلك إلى فلك الكواكب الثابتة. «المعصومي» ٣٠ : ٢٨٨.

(٦) أشار إلى مقدار بعد فلك الكواكب الثابتة عن الأرض، وعظم مقدار دور سطحه، إذ كان بعده عن الأرض، أي بعد سطحه الأدنى، خمسة وستين ألف ألف وثلاثمئة ألف وسبعة وخمسين ألفا وخمسمئة ميل، فيكون قطره مئة ألف ألف وثلاثين ألف ألف وسبعمئة ألف وخمسة عشر ألف ميل. فأما بعد سطحه الأعلى فلا سبيل إلى معرفته كما أنّ عدد الكواكب الثابتة لا يعرف عددها. ولا تصل قوة البشر إلى تحصيلها في جملة إلا أن الذي أمكن قياسه وعرف منها عدده ألف واثنان وعشرون كوكباً «المعصومي» ٣٠ : ٢٨٨ ـ ٢٨٩.

(٧) أي بقعة الكواكب الثابتة لا تنقسم إلى مدن، أي هي أجزاء يختصر كل جزء منها بحركة، وتحقيق ذلك أن حركاتها كلها حركة واحدة، عرف ذلك من أنها لا يقرب بعضها من بعض، بل هي محفوظة الأبعاد، كأنها كلها مركوزة في جسم واحد يتحرك هو، فتحركها بحركته تلك «المعصومي» ٣٠ : ٢٨٩.

١٠٨ــ مركوزةٌ في فضاءٍ غيرِ مُنقَسمٍ إلا بِوَهْمِكَ(أ) تقديراً وإمكانا[١]

١٠٩ــ كقِسمةِ الفلكِ الدّوارِ ليس لها فيه اجتماعٌ ولا يأوه إذعانا

١١٠ــ يَقضي تردُّدها فيها بِحَيْرتها[٢] وبعده تاسعٌ[٣] للكلّ قد صانا

١١١ــ وهوَ المحيطُ بها خالٍ وليس له إلاّ ملائكةٌ ردّوه ملآنا[٤]

١١٢ــ وليس منقسماً أيضاً إلى مُدُنٍ واللهُ يأمرنا فيه وينهانا[٥]

٧/ ١١٣ــ فَجِرْمُهُ آخر الأجسام ليس لها من بعده مَطلبٌ فافطن لمغزانا[٦]

١١٤ــ وذلك الملأُ الأعلى فليس تَرى وراءهُ خالياً كُلاًّ ومَلآنا[٧]

[الإسطقات الأربع]

١١٥ـ فإنْ توجَّهت نحوَ المَشْرِقَيْنِ رأتْ في صورةِ الشمسِ للأسْطُقْسِ أعيانا[٨]

(أ) في الأصل: «توهّمك».

(١) أشار بذلك إلى منطقة هذا الفلك، التي تسمى فلك البروج، وقد قسموه في التوهم على اثني عشر قسماً، سمي كل قسم منها باسم، وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت. «المعصومي» ٣٠ : ٢٨٩.

(٢) أشار بذلك إلى حركات الأقسام السابقة المستديرة التي تبتدىء من موضع وتنتهي إليه بعينه. فكأن الكواكب بدورانها فيها وانتقالاتها بأعيانها مترددة فيها. «المعصومي» رسالة حي بن يقظان ٣٠ : ٢٨٩.

(٣) أي الفلك التاسع المسمى بالفلك المستقيم. «المعصومي» ٣٠ : ٢٩٠.

(٤) أي عمّاره الروحانيون من الملائكة لا ينزله البشر ومنه ينزل على من يليه الأمر والقدر، وليس وراءه من الأرض معمر «المعصومي» ٣٠ : ٢٩٠.

(٥) أي لا مدن فيه، ولا ينقسم إلى أجزاء. وأمر الله الذي هو الأمر المطلق، وقدره الذي هو موجب القضاء والحتم، ينزل على سائر الموجودات يتوسط هذا الفلك التاسع ونفسه وعقله. «المعصومي» ٣٠ : ٢٩٠ ـ ٢٩١ و«مهرن» رسالة حي بن يقظان ١ : ١٢.

(٦) أشار بذلك إلى تناهي الأجسام عنده «المعصومي» ٣٠ : ٢٩١.

(٧) دلّ بذلك على أن لا خلاء ولا ملاء يلي هذا الفلك، بل عنده منقطع الأجسام، وسطحه ينتهي إلى لا شيء «المعصومي» ٣٠ : ٢٩١.

(٨) الأسطقس: الجسم الأول الذي باجتماعه إلى أجسام أولى مخالفة له في النوع يقال له أسطقس لها، فلذلك قيل إنه آخر ما ينتهي إليه تحليل الأجسام، فلا توجد فيه قسمة إلى أجزاء متشابهة. والمراد بالاسطقسات الأربع: صورة الأرض، وصورة الماء، وصورة الهواء، وصورة النار. تسع رسائل ص٨٥.

[اتّصال العوالِم]

١١٦ـ حتى ترى صوراً شتّى مركبةً من المعادِن والأشجارِ ألوانا

١١٧ـ وبعدَه حيَوان صامتٌ وله ما في المعادن والأشجار أفنانا

١١٨ـ وبعدَه عالم الإنسان وهوَ كَما عَلِمْتَ باقٍ على التجريد إمكانا

١١٩ـ لأنّ صورتَه إنْ جرّدتْ بقيتْ وليس يبقى على التركيب أزمانا[١]

[قوى الإنسان وحواسّه]

١٢٠ـ والكلُّ قرنانِ طيارٌ لِسُرعتِهِ وقُرْبِ إدراكِه الثاني وإنْ بانا[٢]

١٢١ـ وسائرٌ غيرُ طيّارٍ يُنالُ(أ) به القريبُ يَبْعَثُنا منه ويغشانا[٣]

١٢٢ـ وعادَ يذكرُ أصحاب اليمين وأصحابَ الشمالِ ومَنْ بالإفكِ اغوانا[٤]

(أ) في الأصل: «تنال»

(١) يشير إلى فناء المادة «الهيولى» وخلود الصورة، وأنّ هذا الخلود في تجرّدها من الهيولى.

(٢) المراد بالقرن الطيّار القوى المدركة من الإنسان، وشبّه الإدراك بالطيران لشدة حركة الطيران، والوصول بها إلى الأشياء البعيدة. «مهرن» ١ : ١٤.

(٣) أراد بالقرن السائر القوى المحركة من الإنسان. وشبه الحركة بالسير لبطء حركة السير، والوصول بها إلى الأشياء القريبة. وفي النثر جعل ابن سينا القرنين للشيطان، لبعده عما وصف به العقل الإنساني من التجريد والبقاء، والشيطان هو البعد. «مهرن» رسالة حي بن يقظان ١ : ١٤.

(٤) أراد القوة الغضبية والقوة الشهوانية والقوة المتخيلة.. وقد جعل القرن السيار في قسمين هما القوة الغضبية والقوة الشهوانية، وبينهما جار قائم، وجعل محل قسمي هذا القرن السيار ذات اليسار من المشرق دلالة على خسة مرتبتهما وقصورهما عن القرن الآخر الطائر الذي جعل محله ذات اليمين، وأراد به القوة المتخيلة من الإنسان. «المعصومي» رسالة حي بن يقظان ٣٠ : ٢٩٥.

١٢٣ـ وقصَّ من أمر أصحابِ البريدِ[١] وما يُنهونَ[٢] مما رأوا حقاً وعِبر فانا

١٢٤ـ تُنهي إلى مُدْرِكٍ[٣] ما زال مُشتركا تُنهي إلى حافظٍ[٤] ما زال خَوّانا

١٢٥ـ تُنهي إلى مَلَكٍ[٥] يَهْوَى العلوم ولا يَهوى كاملاكِهِم دُرّاً وعِقيانا

١٢٦ـ إدراكُهُ الكلَّ مغزاه ومطلبُهُ تراهُ بالعِلْمِ والإدراكِ فَرْحانا

١٢٧ـ أسيرُهُ الدهرَ محفوظٌ تجارِبُهُ وربّما فَضَّلَ المسكينُ[سُجّانا][أ]

١٢٨ـ وكرٌّ يشرحُ مِنْ أمر الثلاثة[٦] ما يَهذي بسه كلُّهم إثماً وطُغيانا

١٢٩ـ والعقل يزجُرها عمّا تُشير بهِ لولاهُ أهْلَكَنا عدْواً وَاوْدانا[٧]

[تضليل قوّة التخييل]

١٣٠ـ وقالَ في قوّة التخييل عادتُها تَكذيبُها العقلَ يكفي ذاكَ نقصانا

١٣١ـ وتحسب المبدأ الأعلى لغفلتِها جِسماً فتعبد أصناماً وأوثانا

١٣٢ـ ولا تَرى النفسَ بعدَ الجسمِ باقيةً وتحسبُ الجِسمَ في التركيب جُثمانا[٨]

١٣٣ـ ولا معادٌ ولا ربٌّ يُدَبِّرُها وحسبُها سُخْفُ هذا الرأيِ خُسرانا

(أ) ساقطة من الأصل.

(١) أي الحواس الخمس.

(٢) الإنهاء: الإبلاغ.

(٣) أي القوى المدركة من الإنسان، و هي الحس المتحرك.

(٤) أي القوة الحافظة، وهي التي تسمى الخيالية.

(٥) أي النفس التي عليها أن تدرك الجميع.

(٦) أي القوى الثلاث الآنفة الذكر.

(٧) العَدو: الظلم. وأودانا: أهلكنا.

(٨) الجُثْمان: بمنزلة الجُمْعان، جامع لكل شيء تريد به جمعه وألواحه. وقيل الجثمان.: الشخص. والجُمعان: الجسم أو الجسد. «اللسان» مادة «جثم».

[القوى المدركة والمحركة]

٨/ ١٣٤ـ ومنهُمُ[١] أممٌ قدْ هُذِّبَتْ وَلَجَتْ مَعَ الملائكةِ الأبرارِ أقرانا[٢]

١٣٥ـ جِنٌّ وجِنٌّ[٣] فهذا مَعْ تَخَصُّصِهِ بالاجتنانِ وذا وإذْ كانَ حَنّانا

١٣٦ـ لأنّها تركتْ للعقلِ عادتَها وعدَّتِ الطيشَ للذاتِ بُغيانا

١٣٧ـ وبعدَ إدراكِكَ الحِسّيَّ فاسْعَ لهُ تَصِلْ بإدراكِكَ العقليّ أقرانا

[النفوس الناطقة]

١٣٨ـ وبعد ذلك[٤] إقليمين(أ) أهلُهما ملائِكٌ(ب) لَمْ يَرَوا للهِ كُفرانا[٥]

١٣٩ـ فالناطقاتُ كما تَدري ملائكةُ الـ أرْضينَ قِسمانِ للرحمنِ قَدْ دانا[٦]

(أ) كذا في الأصل

(ب) كذا في الأصل، وقد صرفها لضرورة الوزن.

---

(١) أي من القرنين

(٢) أي إن من هذه القوى المدركة والمحركة طوائف وجماعات تهذبت وتأدبت بضرب من التأديب حتى قاربت الملائكة. ويعني بالملائكة كل جوهر عقلي مدرك للعقول. والملائكة الأرضية هي النفوس الناطقة العاقلة البشرية. «المعصومي» رسالة حي بن يقظان ٣٠ : ٤٢٨.

(٣) الجِنّ: القوى المتعقلة من الحواس والتخيل وغير ذلك، وسمّاها جنّا لاجتنانها واستتارها عن المعقولات. والجَنُّ: القوى المحركة أو القوة الغضبية والشهوانية اللتان هما شعبتا القوة النزوعية. والحَنُّ من الحنين. والجِنُّ: حيّ من الجن أو سفلة الجن وضعفاؤهم، أو خلق بين الإنس والجن. وعبر عن النزاع بالحن، وكأن القوة الشوقية حانّة ونازعة إلى استجلاب اللذيذ واستدفاع المؤذي. «مهرن» ١ : ١٧ و«المعصومي» ٣٠ : ٤٢٩ و«القاموس المحيط» مادة «حنن».

(٤) أي بعد القرنين.

(٥) الإقليمان: النفوس الفلكية والملأ الأعلى.

(٦) أي النفوس الناطقات قسمان: قوة العلم وقوة العمل.

[قوة العمل وقوة العلم]

١٤٠ــ فقوةُ العملِ اليُمنى[١] مقاربة مِن قوةِ العلمِ أخْداناً وإخوانا

١٤١ـ تروي عن العقلِ ما تروي وتكتبُهُ وأخذُها(أ) رحمةَ الفعّال نَجّانا

١٤٢ــ لكنّ تدبيرَها الأجسامَ يشغَلُها فقَدْ غدا رأيُها بالجِسمِ وَسْنانا[٢]

١٤٣ــ وقوّةُ العقلِ في التحقيقِ كائنةٌ على اليمين .....(ب)

١٤٤ـ والانفصالُ اتّصالٌ بالقديم ولَوْ صحَّ الفِراقُ الذي يأتي لأرضانا[٣]

[النفوس الفلكية]

١٤٥ــ ودونَهُ خَدَمٌ سُمُّوا ملائكةً وقد تَخالَفَ مَغْزاهُمْ ومَغْزانا[٤]

١٤٦ــ فما تَرى قَرِماً فيهم ولا نَهِما ولا ترى نَزِقاً فيهم وغَضبانا[٥]

١٤٧ــ ويستحيلُ بلا شكٍ تجرُّدهم عَن الهَيولى فحقّ ذاكَ إيمانا[٦]

١٤٨ــ فإنَّ تركيبَهم لا شكَّ أسعدُهُمْ إذ كان تركيبُنا لا شكَّ أشقانا

١٤٩ــ ونحنُ ضدّانِ في التركيبِ إذْ وُجِدا وإن توافقَ في تركيبِنا اسْمانا[٧]

(أ) في الأصل: «واحدها»

(ب) بياض في الأصل

(١) في النثر قوة العلم هي اليمنى لشرفها وفضلها على قوة العمل. انظر «مهرن» حي بن يقظان ١ : ١٨.

(٢) الوسنان: النعسان. والوسن: أول النوم

(٣) إشارة إلى العقول المفارقة للمادة. والقديم: المبدأ الأول واجب الوجود.

(٤) إشارة إلى النفوس الفلكية المباشرة للتحريك، فإن القرب من المبدأ الأول هو الاستكمال، وقرب كل شيء منه كونه على كماله الخاص.

(٥) أي إن هذه النفوس الفلكية منزهة من القوى الأرضية الغضبية والشهوانية.

(٦) أي ليست مجردة عن المادة كل التجريد، بل ملابسة لها ضرباً من الملابسة.

(٧) أي النفوس الناطقة والنفوس الفلكية.

[الملأ الأعلى]

١٥٠ــ وبعدهُمْ مــلأ أعلى لأنَّهُـــمُ يَـرَوْنَ مــا لَـوْ رايـنـاهُ لاغشــانـا[١]

١٥١ـ منزَّهونَ عن التركيبِ ليسَ لَـهُمْ منـهُ حِجـابٌ بـهِ يلقَـوْنَ أشجـانـا[٢]

١٥٢ـ همُ الوسـائِطُ لطفُ اللهِ يشمَلُنا بِهم ويغشـاهُمُ فيضــاً وَيـغْشـانـا[٣]

١٥٣ـ بها اهتـدَيْنا ولولا نـورُ بهجتِها مــا كـــان اغْفَلَنــا عنـــهُ واعْمانــا

١٥٤ــ لا شيءَ ألطفُ منهـا إنَّ مَنْ عَـرفوا القـديم أصفى جميعِ الخَلْقِ اذهـانـا[٤]

٩/ هـذا آخرُ نظمـه في حي بن يقظان مـن كلام أبي علي بن سينـا، والحمد للـه رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

---

(١) وهو ثاني الإقليمين اللذين أشار إليهما آنفاً.

(٢) إشارة إلى تجرد مـاهيات الملأ الاعلى، أي العقـول الفعالة المفـارقة للمادة أصـلاً، من الهيولى، وقربها من المبدأ الأول والشجن: الهم والحزن. والجمع أشجان.

(٣) أي إن المبدأ الأول يفيض على الملأ الأعلى (العقول الفعالـة المفارقة للمادة أصلاً). والملأ الاعلى يفيض على النفوس الناطقة.

(٤) أي إن الملأ الأعلى لقربـه من المبدأ الأول وصف ببعض مـا يوصف به. انظـر «مهرن» رسـالة حي بن يقظان ١ : ٢٠ ـ ٢١.

فهرس المصادر والمراجع

١ ـ الإشارات والتنبيهات، ابن سينا (مع شرح نصير الدين الطوسي): تح. د. سليمان دنيا، دار المعارف بمصر ١٩٥٧ ـ ١٩٦٠م.

٢ ـ أصول الفلسفة الإشراقية، د. محمد علي أبو ريّان: ط ٢، دار الطلبة العرب، بيروت ١٩٦٩م.

٣ ـ الأعلام، خير الدين الزركلي: ط ٥، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠م.

٤ ـ تاريخ حكماء الإسلام، البيهقي: دمشق ١٩٤٦م/ ١٣٦٥هـ.

٥ ـ التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية (دراسات لكبار المستشرقين): ترجمة عبد الرحمن بدوي، ط٢، القاهرة ١٩٤٦م.

٦ ـ تسع رسائل (في الحكمة والطبيعيات)، ابن سينا: ط١، مصر ١٩٠٨م/ ١٣٢٦هـ.

٧ ـ تقويم اللسان، عبد الرحمن بن الجوزي: تح. د. عبد العزيز مطر، ط١، المجمع العلمي العراقي ١٩٦٦م.

٨ ـ تهافت الفلاسفة، الغزالي: تح. د. سليمان دنيا، دار المعارف بمصر ١٩٤٧م.

٩ ـ حكمة الإشراق، السهروردي: شرح قطب الدين الشيرازي، طهران.

١٠ ـ حي بن يقظان، لابن سينا، وابن طفيل، والسهروردي: تح. أحمد أمين، دار المعارف بمصر ١٩٥٩م.

١١ ـ خريدة القصر (القسم العراقي)، العماد الأصفهاني: تح. محمد بهجة الأثري، ١٩٦٤م / ١٣٨٤هـ.

١٢ ـ دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية): نقل محمد ثابت الهندي وزملائه، ١٩٣٣م.

١٣ ـ رسائل الشيخ الرئيس أبي علي في أسرار الحكمة المشرقية، ابن سينا: تح. مهرن، ليدن ١٨٨٩ ـ ١٨٩١م، وأعيد طبعه بالأفست في بغداد ١٩٦٧م.

١٤ـ الصادح والباغم، ابن الهبارية: تح. د. عزت العطار، مصر ١٩٣٦م.

١٥ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة: تح. د. نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٥م.

١٦ـ فهرس المخطوطات المصورة، فؤاد سيد: دار الرياض ١٩٥٢م.

١٧ـ القاموس المحيط، الفيروزآبادي: مصر ١٣٣٠هـ.

١٨ـ كشف الظنون، حاجي خليفة: تصحيح محمد شرف الدين يالتقايا وزميله، ١٩٤٣م/ ١٣٦٢هـ.

١٩ـ لسان العرب، ابن منظور: تح. د. عبد الله الكبير وزملائه، دار المعارف، مصر ١٩٧٩ ـ ١٩٨١.

٢٠ـ مجلة مجمع اللغة العربية (المجمع العلمي العربي سابقاً):

أ ـ رسالة حي بن يقظان مع شرحها لابن سينا: محمد صغير المعصومي، مجلد ٢٩ و٣٠ دمشق ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥.

ب ـ الشطرنج والنرد في الأدب العربي القديم: د. محمد فائز سنكري طرابيشي، مجلد ٦٥، دمشق ١٩٩٠.

٢١ـ مجلة المشرق (رسالة الطير لابن سينا): لويس شيخو، السنة الرابعة، بيروت ١٩٠١م.

٢٢ـ المصباح المنير، المُقْري الفَيّومي: المكتبة العلمية، بيروت.

٢٣ـ المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا: بيروت ١٩٧٩م.

٢٤ـ منطق المشرقيين، ابن سينا: المكتبة السلفية، القاهرة ١٩١٠م/ ١٣٢٨هـ.

٢٥ـ موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية (كشاف اصطلاحات الفنون)، التهانوي: بيروت ١٩٦٦م.

٢٦ـ نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة، ابن الهبارية: تح. نعمة الله الأسمر، بعبدا ١٩٠٠م.

٢٧ـ وفيات الأعيان، ابن خلكان: تح. د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٦٩ ـ ١٩٧٨.

٢٨ـ Geschichte der Arabischen Literatur ven Prof. Dr. C. Brock-elmann: Leiden 1937.

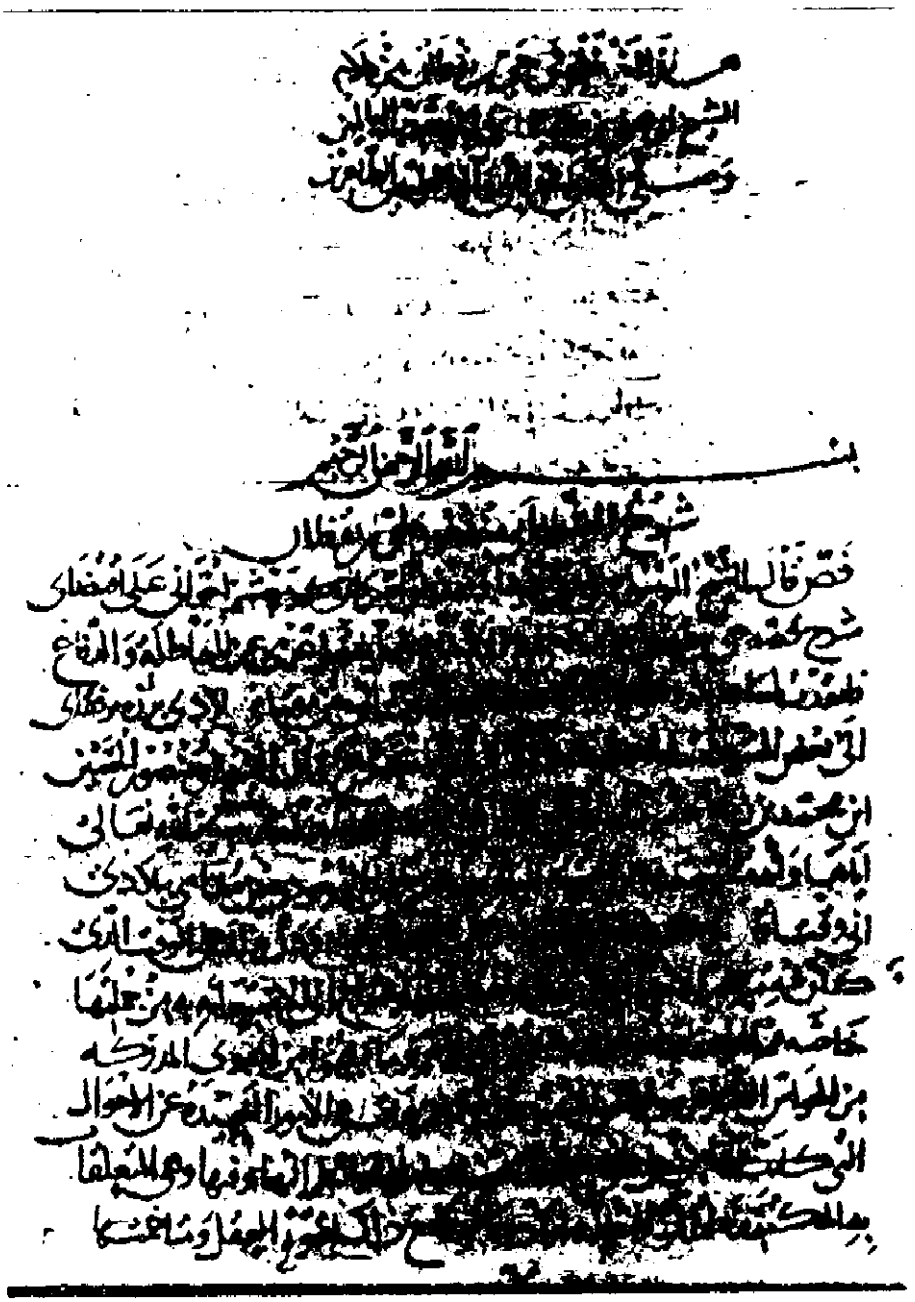

العود حيث يضر عن اوهامها في غير ابدانها ما قد يضر بها من كثير الاغتذاء بها من
العقيران التي هي مواد للامراض لان الغاذية الى الخير والشر والحوادث الى الملائمة في الطبيعة
اسباب كالمنازل والرياح والضواحي وقد قررنا قبل هذا المعنى ثم من شان الانفعالات
حدوث شهوة في ابدانها جزاء تصوره بالفرح يكون سببا لمرض يكون من الالام وبروده وقوة الغم
والخوف يكون سببا للامراض المهلكة وقد يكون الاوهام النفسية اسباب الرياح
حدوث حركات لغير اختيار تحدث في هذه الابدان الاعضاء كلها في الاصل والعضو والعنصر
لجميع ذلك فاعل فان كان الفاعل قوة الطاعة العنصر لا محالة وقد قررنا ان للنفس ان
يفعل في العنصر شيئا وعلى مجرى فعل الطبيعة ولكن بالاسباب الطبيعية الملائمة فلا
يبعد ان يكون نفس فرحه بجاه وزائر هاهنا بانها لمن خالها حال الانفس الوحشية ذكرناها في
العنكبوت والدر وقد ذكرنا ذلك هاهنا ومشبه ان يكون العين خاصة نفسانية من هذا الباب
فان العين اعتماد وجود شيء مع اعتماد ان لا وجوده اولى الرؤية فتبع الوجود ذلك الاعتماد
فدخل مزاج ذلك الشيء آنه والاوهام الى مشاركة بعض الامم ان صحت فعلى هذا السبيل او هذا
مما لا يبعد وليس فان صح امتناع دبل العباس صح امكانه وان كان بلادا وقد ذكر
افلاطن شعبة من هذا في كتاب سوفسطيقا وهذا غاية ما ارتضاه ان نوزعه كتابنا قد
وفينا بما وعدنا على سبيل التحديد او على سبيل احساب البراهين الصعبة البسيطة على ركاكة
كثير القياس وان كانت من العوم بحث الاولى بذلك ولكن موجز الايضاح والاختصار
وتقريب البعيد ان مال الى الخطر فهو معذور ونسأل الله تعالى ان يحسننا الزيغ والزلل
والاستبداد بالرأي الباطل واعتقاد العجب فيما نرى ونفعل

تم الكتاب

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

علقه العبد الفقير الى رحمة الله تعالى محمد بن علي بن عثمان
ابن مسلم الطبيب في ذي الحجة سنة ثلاثين وخمسمائة

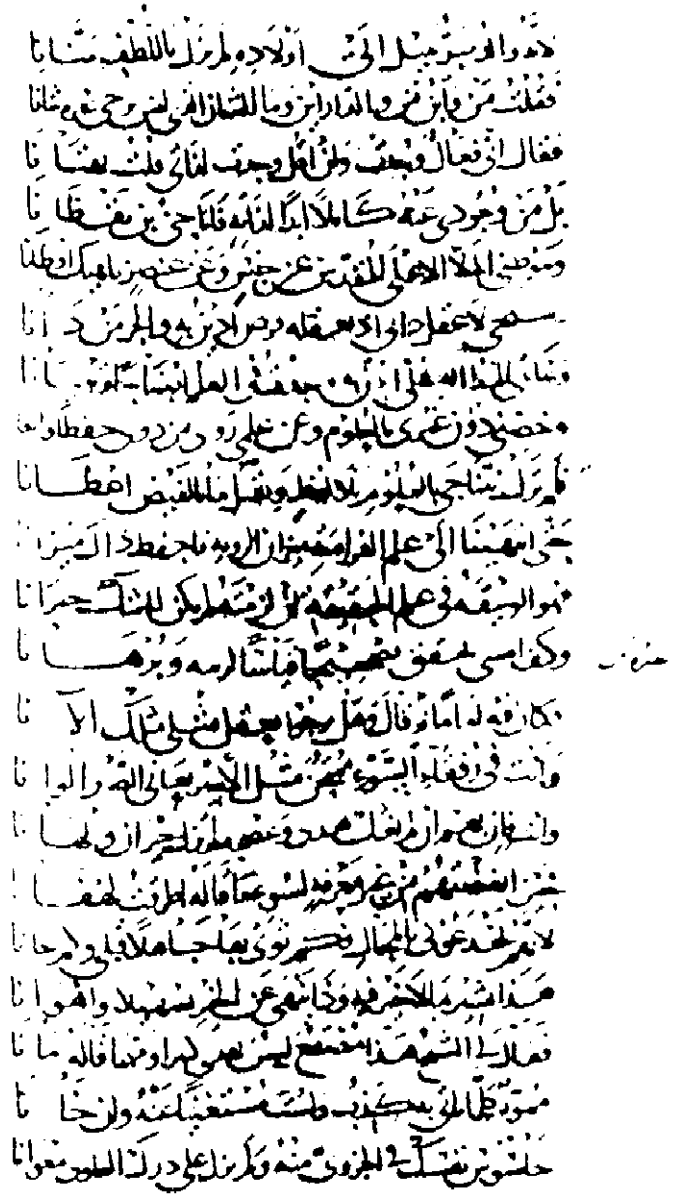

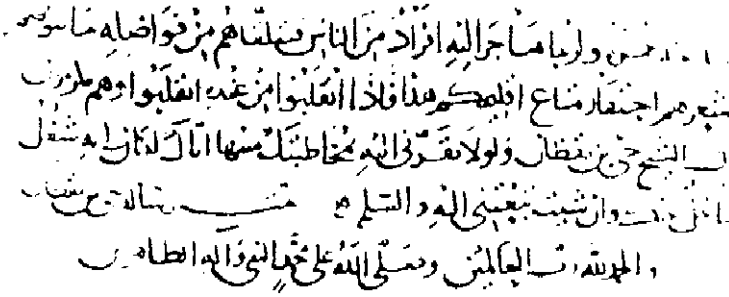

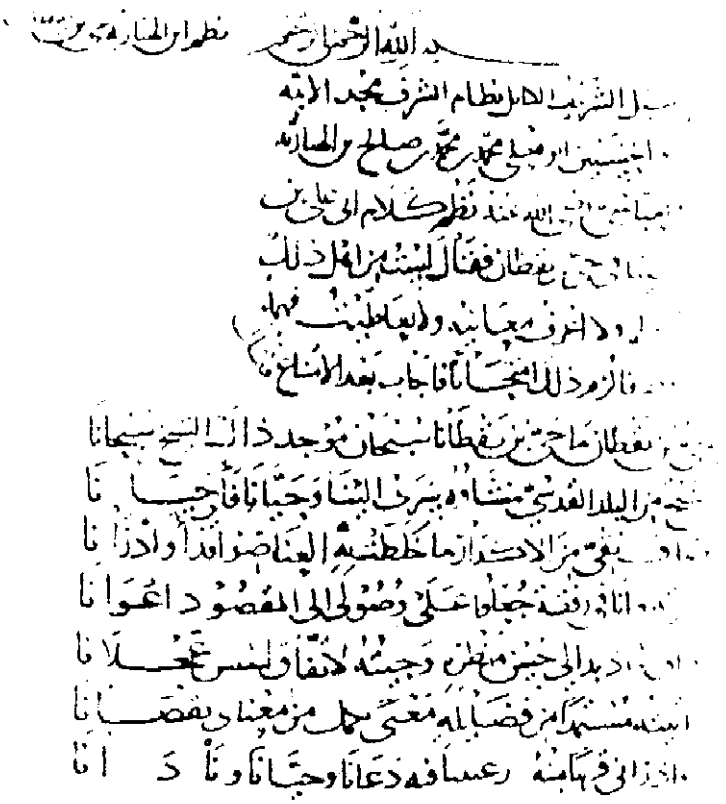

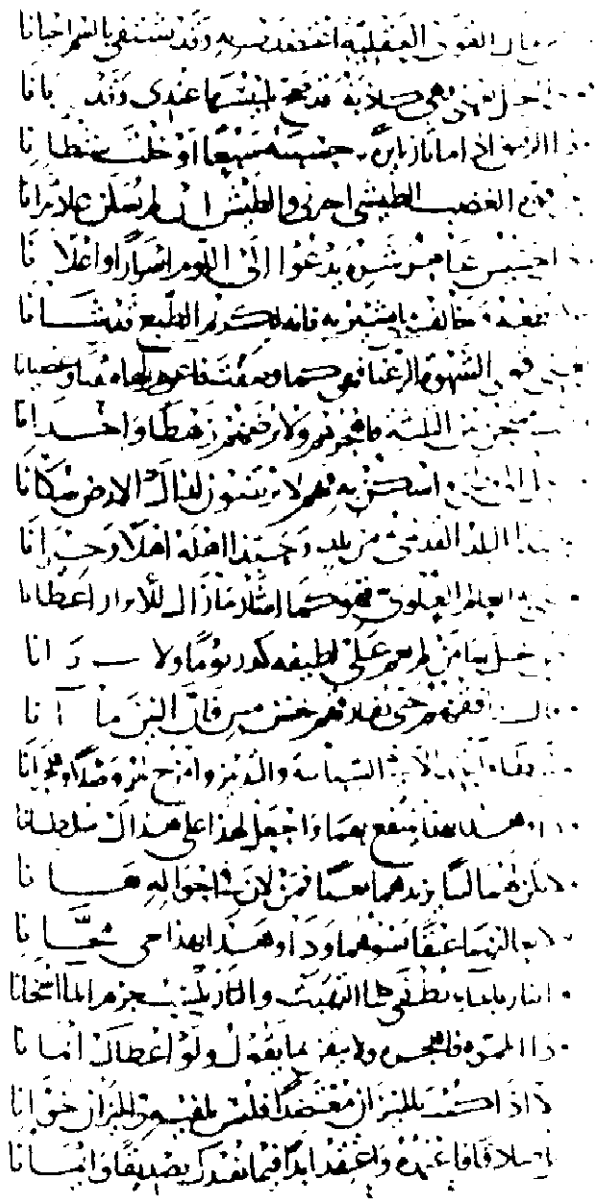

يخبر جرثومة كانوا حماة صفوا وكان على بعض جرى كما كانا
اذا جنى الله منهم اثلم نفل فقد بقيتم جبران جرانا
وقال لي الذي اني شيقا وما اليه بيننا جنة الشوق حتانا
لا تطلبنها فاني مثلها طمع ما دمت في البحر لا يمكن احكانا
فقد اجاملا عيا تسوبه يعني من الجناة او اسدانا
فان امرك في دنيا تخالف على الفاظ بها سهلا واحدانا
طورا ترى في جفيض الكون منتشلا طورا ترى للصم صحانا
تبني لها لك جسما لو وطئته هدته فادلا لا كسنانا
وتارة مقعدا عنه ومتصلا بنا كانك عنه عدت عرجانا
ولست بظفر مثلي بالسباجز من مسي وتطعي لحم الجمل بتخرانا
فامزج صلبخدك الاي بعمر بها ما دمت في الحس للمكروه ندمانا
حتى تخرج منه مستعرا تارجوا ويلي في فرجان جسد لانا
ولا تراهم ولو ارتجت بهجتهم منعمنها احشفي بالحرب خسرانا
وبان لجعله بالحيل
وقال اذ صور الموجود جملة بلثة جنسها مشى ووحدانا
مركب وبسيط والبسيط على مشى فقد جعلا حتى حدانا
وهو المبسوط كل بالصور اتصل الفرد كما عاد بدا وزكانا
في الغرب والشرق لو الغيب دفنها حيا كما ترد عيون الطلوعانا
لا در كان لا مستطلع بنا من كان عن تعجب ذاك العلم اسلانا
وليس يحظى بما اجهد نطلبه مما دنت منزلا عن الحوصدانا
فان طعرت بلدا الغيب فرت به فان فيها لما ترجوه امكانا

فاحد الاسمين الفاعلين معا لفاعليهما من الفعال اخذا
لحسن بواسطة وهي التي تحول اسمها عن الفعال مسدانا
والفعال اخذ الفعال واحده من وجد فهو موجود وموالا وما
كل من فوقه محي ومطي كما مطى فعفاه والجديدان معنا
لكن بكل ذوو الهموم يوما انفاسهم عادا واد ما
نظر معنا ومبدانا وحسبهم من همهم قيد الانسراع فرسانا
كانهم ثم حضا وحظها امثالها ونظن الكون بنيانا
والنون منا الى مرساه مفتقر لانه يخالف مرساها ومرسانا
ولم اصغر اجنبا ما واسنها على الاخلاق فقد منا
لسرعة القمر للبدر وجعله وجعلها اولات الابراج مدانا
لم قصور اذا عدت ثانيه عدادا حرامه والحول وطنا
وقال السبعة الحمرى على حبسة النسيم اذ عد بهرا ما وكيوانا
وقال في ظل الشهب الثوابت من بعد المشافه ما ان عدتنا
وقال ادام محمود مسرتنا بعد الاقامة ما ان عدتنا
العدد المنها لا يستطاع بلى قد عدا لغاد بقاءه احوانا
والمسمون لا اختلاف لهما ولا ائتلاف بعضها بعضا ولا دانا
مركون في فضاء غير منقسم الا ويحمل بقدرا وامكانا
لمسمة الفلك الاقدار ليس لها قيد اجتماع ولا بالوه اذعانا
فحتى يردها فانها لهم بعادا وشد ما سمع الكل قد صانا
ومن الخطها حال وليس الا لاحكه ردوه مبدانا
وانس منقسما ايضا الى العدد والله بالغرا فيه وبنهما

ومنهم أمم قد سمت مع الملائكة الأبرار أقرانا
جن ومن هذا مع الخصوصه بالاحسان وذا الاكثار حيانا
لانها ركب العقل عاد تقاوعدن الطبع للذات بعدانا
فبعد لا تكلف المعنى فاسع له فصار بالدرك العقلي إنسانا
وبعد ذلك اقلبين لهم الملائكة سموا لله كرانا
فالناطقات هم الروح الملائكة الارضيون فسماهم الاحمر قد دانا
فقوة العمل البعض مقاربة من قوة العلم اخدانا واخوانا
ومن العقل ما روى وكليه واحد هارحمه الفعال خلقا
لكن يريها الاجسام تشغلها فقد عدانا بها بالجسم نسيانا
فقوة العقل في التحقيق كائنة على البين
والانفصال اتصال بالقوة ولو سمح الفهم الذي بالحد صلنا
وقوة خصهم نحو الملائكة وقد خالف عزائم ومعرانا
فما رئي قط منهم لا نفسا ولا يرى قط منهم وغضبانا
يستعمل الملائكة ردهم عن الهبوط لحق ذاك إما
فان رئيهم لشكل اصعدهم اذ كان ربنا ذا استقانا
وبين متان في التركيب اذ وجدا وان تفوق لطيفا اسمانا
وبينهم ملائكة لا تتم بوزن ما لورائه لانسانا
منزهون عن التركيب ليس لهم بنية جسمية ملموس اشخاصا
هم الوسائط لطف الله بينهم وبين اشياعهم فضلوا بذا
بها اهتدينا ولولا نورها فيها ما كان لغفلتنا عنه واعفانا
لاشئ الطف منها ان من عرفوا القديم اصفى جميع الخلق ايمانا